



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس



— مستغانم —

○ كلية الأدب العربي والفنون

○ قسم الأدب العربي

○ شعبة الدراسات الأدبية والنقدية

مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص أدب حديث ومعاصر

قراءة في كتاب مدارس الشعر العربي في العصر
الحديث للكاتب صلاح الدين محمد عبد التواب

إشراف الدكتور:

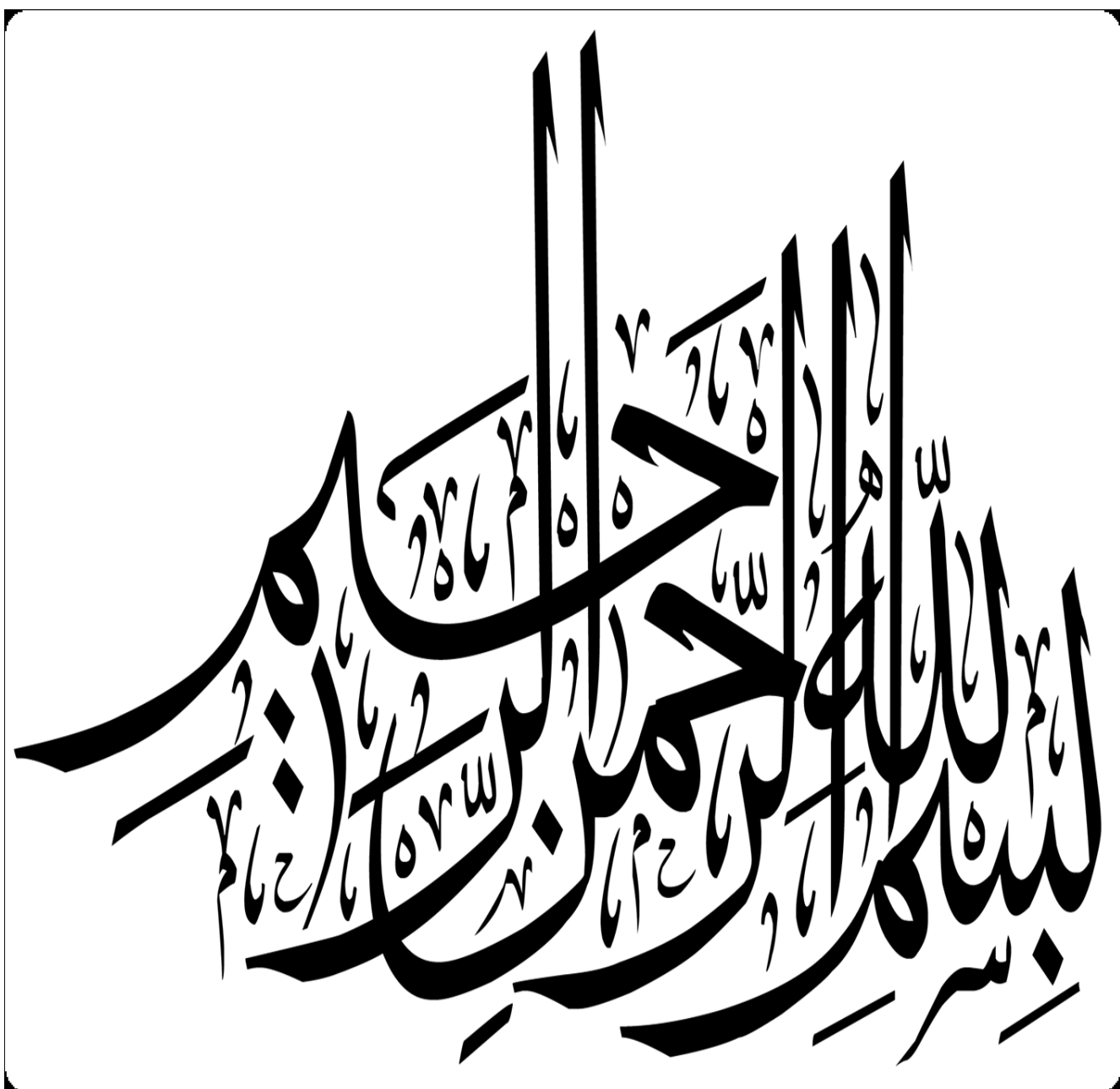
المكروم سعيد

إعداد الطالبتين :

✓ الإدريسي عبير

✓ بوعزة إيمان

السنة الجامعية : 2021/2020



الإهداء

إلى من أرضعتني الحب و الحنان ... إلى رمز الحب و بلسم الشفاء ... يا من
أفقدك منذ سنوات ... يا من يرتعش قلبي لذكرك ... إلى روح أمي العزيزة الغالية التي
ستظل دائماً جزئي الأجل في حياتي ، أعلم أنك كنت تنتظرين هذا اليوم بفارغ الصبر
و الفرح إلا أن مشيئة القدر فاقت كل شيء فرحمة الله عليك و أسكنك فسيح جناته ... بن
براهيم أمينة.

إلى جدتي التي وافتها المنية منذ عام، و كانت خير مثال للأم الحنونة و التي
عوضتني كل الاشتياق و الحنين الذي كان ينتابني لفراق أمي حبيبتي ... سوالمي باية.
إلى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي و شبابي إخوتي: كوثر، دعاء، يحي.
إلى كل من شجعني في رحلتي إلى التميز و النجاح عائلة بن براهم.
إلى من سار معي في دربي و كان خير سند لي زوجي الغالي: سعيد الشارف.
إلى صديقاتي العزيزات اللواتي قضينا معا أحلى الذكريات خلال المسار الجامعي:
إيمان، أحلام ، سمية .

الإدريسي عيبر

الإهداء

إلى الذي وهبني كل ما يملك على أن أحقق له آماله ، إلى كل من كان يدفعني نحو الأمام لنيل المبتغى و إلى الإنسان الذي امتلك الإنسانية بكل قوة إلى الذي سهر على تعليمي بتضحيات أبي الغالي على قلبي أطال الله في عمره أحمد .

وإلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء و الحنان و التي صبرت على كل شيء ، التي رعتني حق الرعاية و كانت سندي في الشدائد إلى أمي الغالية عائشة أسأل الله أن يحفظهما و يحميهما من كل شر قد يصيبهما .

و كذلك أهدي تحياتي إلى إخوتي الأعمام : محمد ، نزيهة ، مريم .

كل الشكر و التقدير لصديقاتي الغاليات : عبير ، سمية ، أحلام ، شهيناز أتمنى لكّن التوفيق في مشواركن المستقبلية .

كما أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدني من قريب و بعيد على إنجاز هذا العمل .

بوعزة إيمان

شكر و تقدير

لا لنا و نحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية و من وقفة تعود إلى أعوام
قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا
كبيرة في بناء جيل الغد لتتبعث الأمة من جديد و قبل أن نمضي نتقدم بأسمائنا آيات
الشكر و الامتنان و التقدير و المحبة .
إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة.
إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم و المعرفة.
إلى الأستاذ الفاضل و المؤطر الدكتور المكروم سعيد الذي أهدانا بكل ما لديه و كان عوننا
لنا من أجل الوصول إلى إنجاز هذا العمل المتواضع.
إلى من حفزنا لإتمام هذا العمل سواء بالدعاء أو النصيحة أو الكلمة الطيبة الأستاذ قرين
كمال.
نطلب من الله أن يجعل جهودهم في ميزان حسناتهم يوم الحساب.

الإدريسي عيبر و بوعزة إيمان .

مقدمة

مقدمة:

يصعب على الدارس و الباحث أن يحيط بالشعر العربي الحديث في كتاب إلا إذا كان هذا الكتاب ضخما مؤلفا من عدة أجزاء، و ها هو المثال بين أيدينا حيث كان من نصيبنا كتاب مدارس الشعر العربي في العصر الحديث لصلاح الدين محمد عبد التواب حيث وقف المؤلف في بداية كتابه عند شعر النهضة و بوادئ نهوضها لينتهي عند مدرسة الشعر الحر، حيث أن الكتاب جامع لكل المدارس العربية التي شهدها الأدبي، فأخذ يتناول الشعر في مصر و بغداد و العراق و غيرهم.

و يعود سبب اختيارنا للموضوع نظرا لما دار حوله من دراسات مختلفة، و إضافة إلى رغبتنا في التعرف على المدارس الأدبية ككل لأهميتها الكبيرة و خاصة أن هذا البحث هو من تخصصنا الدراسي. و للإجابة على الإشكالية المطروحة كيف كان تأثير هذه المدارس على تاريخ الشعر العربي؟ و كيف استطاع الشعر أن يتطور من مدرسة لأخرى؟

و قد اعتمدنا على المنهج التاريخي و ذلك راجع للمسار الشعري الذي سلكته المدارس من بداية النهضة إلى غاية الوصول عند الشعر الحر معتمدين على مصادر أهمها كتاب في الأدب العربي الحديث مدخل النقد الأدبي الحديث لمحمد غنيمي هلال و كتاب قضايا الشعر المعاصر لأحمد أبو شادي، إضافة إلى مجموعة من الدواوين للشعراء الكبار أمثال: البارودي، المازني، حافظ إبراهيم، و ديوان ناجي.

و قسمنا بحثنا إلى ستة فصول يتمحور الفصل الأول حول النهضة العربية و بواذر نهوضها و بعض النماذج الأدبية منها، أما الفصل الثاني فقد خصصناه لرائد البعث و الإحياء وحده، تحدثنا فيه عن شعر البارودي و شخصيته و كيف استطاع أن يعطي للشعر نظرة أخرى ، و عن المنزلة التي أخذها، ث اتجهنا في الفصل الثالث إلى مدرسة الشعراء المحافظين و على رأسهم أحمد شوقي و حافظ إبراهيم و معروف الرصافي لنتطرق إلى منزلتهم و عن آثارهم في الشعر العربي الحديث، كما تناولنا في الفصل الرابع شعراء مدرسة الديوان ألا و هم العقاد و إبراهيم المازني و عبد الرحمن شكري، و بالنسبة للفصل الخامس ذهبنا إلى جماعة أبوللو و اتجاهاتها الشعرية، و توقفنا في ذلك عند الشاعر الكبير أحمد زكي أبو شادي إضافة إلى إبراهيم ناجي و يوسف البشير التيجاني، و آخر فصل كان للشعر الحر حيث أعطينا لكل هذه الفصول الستة ثلاث مباحث بالتساوي، ليتصدر هذا العمل مقدمة أما الخاتمة فكانت على شكل حوصلة لأهم النتائج المتوصل لها من خلا هذا العمل.

و من الصعوبات التي واجهتنا خلال رحلتنا العلمية هي المصادر و المراجع التي استعصى علينا الحصول عليها و ذلك نظرا للظروف التي تزامنت مع أوضاع كورونا و الحجر الصحي، إضافة إلى ضيق الوقت و أيضا الإطالة في الموضوع و لاسيما الفصول هذا راجع إلى اختلاف الدراسة للأعمال هذه السنة على عكس السنوات الماضية حيث كان العمل ينقسم إلى فصلين الأول نظري و الثاني تطبيقي.

و لكن بمشيئة الله تعالى استطعنا التوفيق في هذا العمل و منه نتقدم بأعز الشكر و خالص الامتنان إلى الدكتور مكرم السعيد الذي ساعدنا و لم يبخل علينا بالنصائح و التوجيهات شاكرين إياه على صبره و سعة قلبه.

البطاقة الفنية للكتاب

البطاقة الفنية للكتاب

*السيرة الذاتية لصاحب الكتاب:

ولد الدكتور صلاح الدين محمد عبد التواب السيد في مصر تاريخ 1937/06/21 بالقاهرة، نشأ على حب العلم منذ صغره فاستطاع بذلك أن يصبح أبرز النقاد في مصر و العالم العرب، و هذا بفضل المؤهلات العلمية التي يمتلكها فقد تحصل على الإجازة العالية (الشعبة الأدبية) في مايو 1964م، مع مرتبة الشرف من كلية الدراسات العربية جامعة الأزهر، كما تحصل على درجة التخصص (الماجستير) في الأدب من كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة 1969م بتقدير ممتاز.

و هذه المؤهلات العلمية ساعدته على التدرج الوظيفي، فدرس في العديد من المعاهد من بينها معهد الأزهرية (اللغة العربية و آدابها)، ثم تقلد منصب مساعد لقسم الأدب و النقد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، ثم أصبح رئيس قسم الأدب و النقد من 1988/9/18 حتى 2002/7/1.

له العديد من الإصدارات الأدبية من بينها:

- الصورة الأدبية في القرآن الكريم – دراسة أدبية و نقدية .
- النقد الأدبي (دراسات أدبية و نقدية حول الإعجاز القرآني).
- القاضي الجرجاني و كتابه الوساطة بين المنتبي و خصومه .
- موقف الإسلام من الشعر.

-مدارس الشعر العربي في العصر الحديث.

دراسات في الأدب المقارن و مناهجه .

-أدب الطفولة في العصر الحديث .

كما له مجموعة مقالات و بحوث منشورة في لدراسات الأدبية و النقدية بمجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر و شارك في العديد من المؤتمرات العلمية، و كان له الشرف أن يشرف على العديد من البحوث و الرسائل العلمية في كلية الأزهر و جامعة عين الشمس بمصر. وافته المنية بعد صراعه القصير مع المرض، لكن ظلت أعماله الأدبية راسخة إلى يومنا هذا، و تعد مرجع من مراجع النقد الأدبي.

*تعريف الكتاب:

يعد كتاب "مدارس الشعر العربي في العصر الحديث " من أهم الكتب في النقد الأدبي الحديث و المعاصر، حيث تطرق الكاتب صلاح الدين محمد عبد التواب إلى الحديث عن مختلف المدارس الأدبية التي ظهرت في العصر الحديث، بداية بالحديث عن نهضة العربية و أثرها في أدب العصر الحديث ثم المرور إلى التعريف بالمدارس الأدبية .

نشر هذا الكتاب لأول مرة عن دار الكتاب الحديث للنشر و التوزيع، البلد : مصر، القاهرة، دون ذكر تاريخ الطبع، سنة النشر 2005م ، حجم الكتاب يعتبر متوسط في متناول الجميع حيث يتضمن 234 صفحة، أما بالنسبة لشكله الخارجي فنجد الغلاف باللون البنفسجي و يتوسط واجهة الغلاف عنوان الكتاب بالحجم العريض و باللونين البنفسجي و الفضي، حيث يرمز كلا اللونين على الحكمة و الذكاء و الرقي، و هذا ربما للدلالة على ذكاء و أبداع و حكمة الشعراء الذين تطرق إليهم الكاتب في كتابه، ثم في طرف الواجهة نجد كذلك اسم دار النشر .

بدأ الكاتب الدكتور صلاح الدين محمد عبد التواب كتابه بمقدمة ثم عرض علينا فصول كتابه و الذي قسمها إلى ستة فصول، فصل فيها كافة المعلومات اللازمة التي تتعلق بالمدارس الأدبية في العصر الحديث و كذلك أبرز الشعراء، حيث خصص الفصل الأول للحديث عن النهضة العربية و أثرها في العصر الحديث، ثم الفصل الثاني خصصه للحديث عن رائد البعث الشاعر محمود سامي البارودي، ليمر بنا إلى الفصل الثالث الذي تحدث فيه عن مدرسة الشعراء المحافظين، ثم الفصل الرابع خصصه لمدرسة الشعراء المجددين، ليختم كتابه بالفصل الخامس و الفصل السادس الذي تحدث فيه عن مدرسة أبوللو و الفصل السادس خصصه لمدرسة الشعر الحر، بهذا يكون الكاتب صلاح الدين محمد عبد التواب قدم لنا نبذة عن مدارس الشعر العربي في العصر الحديث و يكون هذا الكتاب إضافة إلى الساحة الأدبية و النقدية.

الفصل الأول : النهضة العربية و بوادر قيامها

المبحث الأول: النهضة العربية و بوادير قيامها

يقصد بالنهضة تلك المرحلة التي عرفت فيها دول العالم ظهور مجموعات من الاتجاهات التي تهدف إلى التحرر من قيود و سيطرة الكنيسة إلى ممارسة العلم بمختلف ميادينها لمسايرة كل ما هو جديد، ونجد أيضا جاسم السلطان في كتابه " إستراتيجية الإدراك للحراك" يعرف النهضة على أنها حركة فكرية عامة منتشرة في مختلف بلدان العالم ، تتقدم باستمرار في فضاء القرن و تطرح الجديد دون قطيعة مع التراث ، تمثل في كل الميادين من سياسة و دين ،الاقتصاد والاجتماع¹ ونستطيع القول بأن النهضة هي حركة فكرية ظهرت في العقود الأخيرة من الزمن ، قادها مجموعة من العلماء و المفكرون رغبة في إخراج العالم من الجمود و التحجر الذي طغى على فكرهم بشكل كامل إلى فضاء العلم و التكنولوجيا لمواكبة تطورات العصر الراهنة مع الحفاظ على التراث.من الشائع لدى العلماء والمفكرين أن النهضة الأوروبية من أهم العوامل الأساسية التي حركت مشاعر العرب و المسلمين و دفعتهم إلى محاولة إحداث نهضة في مجتمعهم لكي يتقدم و يتطور مثلما تقدمت أوروبا .

إن تاريخ النهضة العربية يبدأ من القرن التاسع عشر ميلادي ، أي من بداية قيام الدولة الإسلامية و وضعها لنموذج الدولة و نمو جديد للحضارة البشرية ، مرورا ببداية هجوم العالم الغربي الكبير منذ القرن الحادي عشر على العالم الإسلامي أو ما يعرف بالحروب الصليبية التي استمرت ثلاثة قرون ، التي أدت إلى تفكيك العالم الإسلامي و سلب ممتلكاته و قرصنة الهيمنة عليه² ،بالإضافة إلى سقوط وانحلال الإمبراطورية العثمانية

¹جاسم السلطان / إستراتيجية الإدراك للحراك من الصحوة إلى اليقظة / أم القرى / ط4 / 2010/ص17.

²جاسم السلطان / نفس المرجع / ص22.

و بداية تحطيم أسسها الاقتصادية و الثقافية في عصر انتقلت فيه الرأسمالية الأوروبية إلى الإمبريالية.¹

إن الجذور الأولى لعصر النهضة يبدأ في القرن التاسع عشر و يمتد حتى القرن العشرين ميلاديين ، فبعدها تعرضت البلدان العربية الإسلامية إلى السيطرة و هيمنة الاستعمار الأوروبي الغاشم نبه العرب إلى التخلف الذي أصبحوا يعيشونه مقارنة بالتطورات العلمية التي حضت بها الدول الأوروبية ، لجأ مجموعة من المفكرون و الفلاسفة إلى محاولة حل هذه المشكلة لكي يتطوروا و يتقدموا مثلما تقدم غيرهم ، و من بين المفكرين الذين سعوا جاهدين إلى معالجة هذه المسألة نذكر على سبيل المثال :

-رفاعة الطهطاوي (1801-1874).

-خير الدين التونسي (1801-1879).

-علي مبارك (1842-1894).

و غيرهم من المفكرين الذين ساهموا بشكل كبير في بلورة النهضة العربية .

المبحث الثاني : عوامل قيام النهضة الأدبية في العصر الحديث

1-يعد الأزهر من أهم العوامل المؤثرة في النهضة الأدبية الحديثة فقد لعب دور كبير، كان حافظ للعلوم الإسلامية و اللغة العربية أكثر من ألف عام من الضياع و الاندثار، و ظل يقاوم مئات السنين التيارات التي كانت تهب من الشرق و من الغرب من أجل طمس الدين و القضاء عليه .

من بين المحاولات التي تدخل فيها الأزهر حملة نابليون بونابرت على مصر سنة 1798 و تعد من أهم الأسباب الفكرية التي ساعدت على يقظة العالم و دفعته إلى السير

¹أحمد البرقاوي/ محاولة قراءة عصر النهضة/ الأهلية للطباعة و النشر/ ط2/ 1999/ ص21.

نحو التقدم والازدهار و بعدها إصلاحات محمد علي باشا من خلال بعثاته العلمية و من خلال اعتماده على علماء الأزهر.

و كما قلنا أن للأزهر دور كبير في أسباب النهوض و اليقظة في مجالات شتى نذكر منها:

أ- في مجال إحياء التراث: و هنا لابد من الإشارة إلى جمعية المعارف سنة 1868 من خلال جهود رفاة الطهطاوي أحد أبناء الأزهر و علماءه مع جماعة من رفاقه في إحياء التراث فساعدوا الجمعية على فتح مطبعة عملت بدورها على طبع العديد من الكتب الكبيرة مثل البيان والتبيين للجاحظ و دواوين مثل ديوان ابن المعتز و ديوان ابن خفاجة¹ **ب- في مجال الترجمة:** و هنا كذلك يعد رفاة الطهطاوي أهم رائد لها و ذلك من خلال رحلته من مصر إلى فرنسا ، كان قد تعلم اللغة الفرنسية و أتقنها فكتب عدة كتب و رسائل ، من أهم الكتب نجد كتاب " تلخيص الإبريز إلى تلخيص بارز" موضوعه حول أهمية التعرف على الحضارة الغربية ، و كتاب " مناهج الأبواب المصرية في مباحج الآداب العصرية " و كان يدور موضوعه حول تلمس الأدب من الآداب و الفضائل الإنسانية .

وظل رفاة الطهطاوي بين الترجمة و التأليف حتى توفي سنة 1883 و من هنا كان قد ترك بصمته الكبيرة في تاريخ النهضة الأدبية .

ج- في مجال التعليم و إنشاء المدارس: كذلك كان الأزهر في الصدارة في هذا المجال فقد عمل على فتح المدارس كمدرسة أبي زعل للطب و بعدها كثرت المدارس التجهيزية و التعليمية كالطب و الصيدلة و الهندسة و التمريض و كافة الصناعات المختلفة .

د- في مجال الصحافة: كانت العناية للصحافة بادئة من حملة نابليون بقصد التنبيه و أهم سلسلة هي سلسلة التاريخ لإسماعيل الخشاب ثم تم إصدار جرنال الخديوي² باللغة العربية

¹ ينظر إلى تاريخ آداب اللغة العربية/ جورجى زيدان/ ج4/ ص800.
² ينظر إلى تاريخ الحركة القومية / عبد الرحمان الرفاعي / ج1 / ص145.

و التركية لمحمد علي سنة 1823 و بعدها جريدة الوقائع المصرية سنة 1828 كان تحت إشراف الشيخ حسن العطار ثم ظهوروا عدة محررين مثل أحمد فارس الشدياق و السيد شهاب الدين و استمرت الصحافة في منوالها على نشر رسالتها في العالم العربي

2- و من بين الأسباب التي ساعدت على قيام النهضة كذلك إنشاء دور الكتب و المكتبات فقد كانت توجد عدة كتب ثمينة لكنها كانت مبعثرة منها من ذهبت إلى مكتبات أوروبا و العالم و منهم من ضاع و تسرب حتى جاء عصر إسماعيل ، فأسست الحكومة دار الكتب و جمعت الكتب ، و حرصت على المحافظة على التراث الأدبي .

3-الإستشراق : كان منذ القرن العاشر للميلاد ثم ازدهر في القرن تسعة عشر ميلادي ، اتجهوا المستشرقون إلى دعم الاتصال الفكري بين الشرق و الغرب من خلال نشاطات عديدة نذكر منها :

-تأسيس الجمعيات الآسيوية أهمها الجمعية الآسيوية الملكية في لندن و الجمعية الآسيوية في فرنسا. كانت كلتاها تهتم بدراسة شؤون المستعمرات .¹

-عقد المؤتمرات في المدن الكبرى من أجل إبراز أهم الجهود المقدمة و جمع المخطوطات .

- ومن أهم المستشرقين نجد ديساسي الفرنسي من أعماله الأدبية ترجمة كليلة و دمنة و مقامات الحريري .

4- تيارات الوعي السياسي و حركات الإصلاح الاجتماعي و بدت مظاهر هذا الوعي في مقاومة الاستعمار الغربي ، و كان رفاة الطهطاوي رائدا كذلك في هذا الأمر بالإضافة إلى جمال الدين الأفغاني و بعدها تلميذه محمد عبده .

5- النهضة في بلاد الشام : من خلال مدرسة عينطورا سنة 1834 بلبنان و الذي تعلم فيها عدد من زعماء النهضة اللبنانية ثم تتابعت المدارس و كانت أولها مدرسة عبية سنة

¹ ينظر إلى بحث أثر المستعربين من علماء الشرقيات في الحضارة العربية/ محمد كرد علي / محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق ج3 / ص8.

1847 من إنشاء الدكتور الأمريكي فاندريك ، أما التعليم العالي في لبنان كان يتمثل في الكلية الأمريكية في بيروت .

و بعدها أخذت النهضة طريقها في سوريا أهم المدارس فيها مدرسة التجهيز و المعلمين سنة 1882 ميلادي و المدرسة الطبية بدمشق من إنشاء السلطان عبد الحميد سنة 1900 ميلادي.

- و لاشك أن ظهور الطاعة في لبنان و سوريا من أهم العوامل المساعدة في النهضة الأدبية إضافة إلى العوامل التي سبق ذكرها من قبل ، كل هذا كان تمهيدا و تهيأ لحركات البعث التي قادها محمود سامي البارودي .

المبحث الثالث : صور من النماذج الأدبية في فترة ما قبل البعث

كانت مظاهر النهضة في عهد محمد علي و عهد إسماعيل قد شملت كل نواحي الحياة المختلفة إلا الناحية الأدبية و ذلك راجع لتركيزهم على العلوم بدلا من الآداب و لولا اهتمام بعض القراء بالأدب و اطلاعهم عليه بالإضافة إلى الدور التي قامت بها المطبعة العربية لما شهد الأدب تطورا و حضي بنصيبه في مصر و المشرق العربي . أهم النماذج الأدبية التي تناولها الكاتب في هذه الفترة :

1- مخاطبة رفاة الطهطاوي لمصر قائلا :

يَا أَيُّهَا الْجُنُودُ و الْقَادَةُ الْأَسْوَدُ

إِنَّ أُمَّكُمْ حَسُودُ يَعُودُ هَمِّي الْمُدْمِعُ

فَكَمْ لَكُمْ حُرُوبُ يَنْصُرُكُمْ تَبُوبُ

لَمْ تَنْتَكُمُ خُطُوبُ وَ لَا اقْتِحَامَ مَعَمَّعُ

وَ كَمْ شَهَدْتُمْ مِنْ وَغَى وَ كَمْ هَزَمْتُمْ مِنْ بَغَى

فَمَنْ تَعَدَّى وَ طَغَى عَلَي حَمَاكُم يَصْرَعُ

2- شعر الغزل للشيخ حسن العطار :¹

لَزِمَتْ نَفْسِي الصَّبْرَ فَبِكْ تَأْسِيًّا وَ الصَّبْرُ أَصْعَبُ مَا يُقَادُ نُجْبِيَهُ
بُلَيْتَ مِنْكَ بِكُلِّ لَاحٍ لَوْ تَبَدَّى نَحْوَ طَوْدٍ أَثْقَلْتُهُ كُرُوبَهُ
فَلَا رَثَيْتَ لِعَاشِقٍ لَعِبَتْ بِهِ أَيْدَى الْمُنُونِ وَ نَازَعْتُهُ خُطُوبَهُ
أَنْتَ النَّعِيمُ لَهُ وَ مِنْ عَجَبِ تَعَدُّ بِهِوَ تَمْرَضُهُ وَ أَنْتَ طَبِيبُهُ

3- و للشيخ حسن قويدر² في بعض نصائحه :

يَا طَالِبَ النُّصْحِ خُذْ مِنْ مَخْبَرَةٍ تَلْقَى إِلَيْهَا عَلَى الرَّغْمِ الْمَقَالِيدِ
عَرُوسَةٌ مِنْ بَنَاتِ الْفِكْرِ قَدْ كُسِيَتْ مِلَاحَةً وَ لَهَا فِي الْخَدِّ تَوْرِيدُ
كَأَنَّهَا وَهَى بِالْأَمْثَالِ نَاطِقَةٌ طَيْرٌ لَهُ فِي حَمِيمِ الْقَلْبِ تَغْرِيدُ
وَ اخْذِرْ مِنَ النَّاسِ لَا تَرْكُنْ إِلَى أَحَدٍ فَالْخَلُّ فِي مِثْلِ هَذَا الْعَصْرِ مَفْتَقُودُ
بَوَاطِنُ النَّاسِ فِي ذَا الدَّهْرِ قَدْ فَسَدَتْ فَالْأَشْرُ طَبَعُ لَهُمْ وَ الْخَيْرُ تَقْلِيدُ

4- و للسيد على الدرويش³ في وصف هرمي خوفو و خفرع :

أَنْظُرْ إِلَى الْأَهْرَمِينَ وَ اعْلَمْ أَنَّي فِيمَا أَرَاهُ مِنْهُمَا مَبْهُوتُ
رَسَخَا عَلَى صَدْرِ الزَّمَانِ وَ قَلْبِهِ لَمْ يَنْهَضَا حَتَّى الزَّمَانِ يَمُوتُ

5- و للمعلم كرامة⁴ يهنئ إبراهيم باشا بفتح عكا :

فَتَحْ بِهِ الْفَتْحُ الْقَرِيبُ مَوْكِدٌ وَ كَوَاكِبُ النَّصْرِ الْمُبِينِ تَوْقِدٌ

¹ ولد بالقاهرة (1766م-1825م) من أسرة مغربية نزحت إلى القاهرة ، تولى التدريس في الأزهر ثم صار شيخا له ، و ظل في منصبه إلى أن توفي ، كان يمتاز و يتفوق في العلوم العصرية.

² تلميذ للشيخ العطار ولد بمصر (1789م-1262هـ) مغربي الأصل و نزح إلى الشام اشتغل بالتجارة كما كانت له شهرة في مجال العلم و الأدب.

³ ابن إبراهيم المصري . ولد بالقاهرة (1211هـ- 1270هـ) و نشأ بها و كان به ولوع بالأدب و حفظ كثيرا من الشعر و أصاب شهرة كبيرة في زمانه .

⁴ من شعراء سوريا في عصر محمد علي ولد في حمص سنة 1188هـ- 1774م و جاء لبنان و اتصل بالأمير بشير الشهابي و توفي سنة 1268هـ - 1851م .

مَا الْمَجْدُ إِلَّا بِالْحُسَامِ وَ لَمْ يَدُمُ شَرَفُ الْفَتَى مَا لَمْ يُقْنِعْهُ مُهَنْدٌ
مَا يَوْمَ عَكَّةٍ لَمْ تُذْعْ ذِكْرًا لِمَا غَيْرِ الزَّمَانِ ؟ وَ مَا يَتَجَدَّدُ
يَوْمٌ بِهِ الْحَرْبُ الْعَوَانُ تُضْرِمَتْ بِقَنَابِلٍ مِثْلِ الصَّوَاعِقِ تَرَعْدُ

6- و للشيخ ناصيف اليازجي¹ في جمال الروض :

مَرَّ النَّسِيمُ عَلَى الرِّيَاضِ مُسْلِمًا سِحْرًا فَرَدَّ هِزَارَهَا مُتْرَنَمًا
أَحْنَى إِلَيْهِ الزَّهْرُ مُفَرَّقَ رَأْسِهِ أَدْبًا ، وَ لَوْ مَلَكَ الْكَلَامِ تَكَلَّمَ
يَا حَبْدًا مَاءَ الْعَدِيرِ وَ شَمْسُهُ تُعْطِيهِ دِينَارًا فَيَقْلِبُ دِرْهُمَا

7- و للشهاب الألوسي² في العراق :

أَهِيْمُ بِأَثَارِ الْعِرَاقِ وَ ذَكَرَهُ وَ تَعْدُو عُيُونِي مِنْ مَسَرَّتَيْهَا عِبْرِي
وَ أَلْتَمَّ أَخْفَافًا وَ طِينَ تُرَابِهِ وَ أَكْحَلَ أَجْفَانًا بِتُرْبَتِهِ الْعِطْرِي
وَ أَسْهَرُ أَرْعَى فِي الدِّيَاجِي كَوَاكِبًا تَمُرُّ إِذَا سَارَتْ سَاكِنِي الْأُزُورَا
وَ أَنْشَقَ رِيحُ الشَّرْقِ عِنْدَ هُبُوبِهَا أَدَاوِي بِهَا يَا مَيِّ مُهَجَّتِي الْأَحْرَا

8- و لأديب إسحاق³ و رأيه في المرأة :

حَسَبَ الْمَرَأَةَ قَوْمٌ آفَةٌ مِنْ يَدَانِيهَا مِنْ النَّاسِ مَلِكٌ
وَ رَأَاهَا غَيْرَهُمْ أَمْنِيَّةً مَلِكِ النَّعْمَةِ فِيهَا مِنْ مَلِكِ
فَتَمَّتْ مَعَشْرٌ لَوْ نَبَذَتْ وَ ظَلَامَ اللَّيْلِ مُشْتَدُّ الْحَاكِ
وَ صَوَابُ الْقَوْلِ لَا يَجْهَلُهُ حَاكِمٌ مِنْ مَسَلِكِ الْحَقِّ سَاكِ
إِنَّمَا الْمَرَأَةُ بـ_____هَا كُلُّ مَا تَنْظُرُهُ مِنْكَ وَ لَكَ
فَهِئَ شَيْطَانٌ إِذَا أَفْسَدَتْهَا وَ إِذَا أَصْلَحَتْهَا فَهِئَ مَلِكِ

¹ ولد بكفر شيحا في لبنان سنة 1800م و اشتغل أول أمره بالعلوم و الطب ثم غلب عليه الميل إلى الأدب و اتصل بالأمير بشير الشهابي و كان كاتم سره .

² ولد ببغداد (1802م – 1854م) صاحب التفسير المشهور روح المعاني و كان إماما في التفسير و الإفتاء، حظي بشهرة عظيمة في عصره و سار مقصد الأدياء و طلاب التفسير و الفقه .

³ سوري ولد سنة 1856م و نشأ ببلبنان و ظهرت ميوله الأدبية و هو في السابعة عشر حيث حرر جريدة المتقدم ، أنشأ هو و صديقه سليم النقاش جريدة مصر 1877م تأثر فيها بتعاليم أستاذه الأفغاني.

9- و لمحمود صفوت الساعاتي¹ في العتاب :

إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَإِنَّمَا
حَظُّ الْأَدِيبِ عَدَاوَةُ الْأَرْزَاقِ
عَامَلْتُمُونِي بِالْجَفَاءِ ، رَوَيْدُكُمْ
الْوَرْدُ ذُو أَرْجٍ بِلَا الْإِحْرَاقِ
مَالِي أَرَاكُمْ تُنْكِرُونَ مَكَانَتِي
الشَّمْسِ لَا تَخْفَى مَعَ الْإِشْرَاقِ
قَلْدَتْكُمْ غَيْرِي الْجَمِيلِ وَقَلْدَتْكُمْ
حَسَبَ الْمُغَرِّدِ زِينَةُ الْأَطْوَاقِ
أَسَدِيَّتُمْ الْجَدْوَى لَهُ وَسَدَدْتُمْ
طُرُقَ الرَّجَاءِ عَلَى بِالْإِطْرَاقِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلِي يُسِيءُ وَ مِثْلَكُمْ
يُغْضِبِي فَأَيُّنَ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ

10- و لعبد الله فكري² ينصح ابنه أمين و هو صغير :

إِذَا نَامَ غَرٌّ فِي دُجَى اللَّيْلِ فَاسْهَرِ
و قُمْ لِلْمَعَالِي وَ الْعَوَالِي وَ شَمِّرْ
وَ خَلِّ أَحَادِيثُ الْأَمَانِي فَأَيُّهَا
عِلَالُهُ نَفْسِ الْعَاجِزِ الْمُتَّحِيرِ
وَ سَارِعَ بِأَلْتِي مَا رَمَتْ مَا دُمْتَ قَادِرًا
عَلَيْهِ فَإِنْ لَمْ تُبْصِرِ النُّجْحَ فَاصْبِرْ
وَ لَا مَوْرِدًا مَا إِمَّ تَجِدُ حَسَنَ مَصْدَرٍ
وَ لَا تَأْتِ أَمْرًا لَا تُرْجَى تَمَامَهُ
تَصَدَّقْ وَ لَا تَكُنْ إِلَى قَوْلِ مُفْتَرِيٍّ
وَ عَوَدَ مَقَالِ الصِّدْقِ نَفْسَكَ وَ ارْضَهُ
لِكَفِّيكِ فِي الْإِنْفَاقِ إِمْسَاكُ مُقْتَرِرٍ
وَ دَعُ عَنكَ إِسْرَافَ الْعَطَاءِ وَ لَا يَكُنْ

¹ ولد بالقاهرة (1241هـ-1825م) و اسمه محمود صفوت بن مصطفى أعا الزيلع الشهير بالساعاتي .حفظ الكثير من الشعر القديم و استظهر ديوان المتنبي و تتلمذ على الشيخ حسن قويدر و مدح من الحكام سعيد و إسماعيل و توفيقا و توفي سنة 1298هـ قبل الثورة العربية.

² ولد بالحجاز (1250هـ - 1834م) من أب مصري و أم من بلاد المورة ،التحق فكري بالأزهر و تلقى العلوم على كبار مشايخه. ثم التحق بعد ذلك بوظائف ديوانية و عكف على تدوين رحلاته في عواصم أوروبا و ما رآه من آثار الغرب ، توفي (1307هـ- 1889م) .

و يستنتج الكاتب من خلال هذه النماذج أن الشعراء كانوا متفاوتين فيما بينهم من مظاهر الضعف و إغراء المحسنات و الزخرف اللفظي الذي عايشوه، حيث حاولوا التخلص منه و كانت أغلب المعاني لا تحتوي على عمق الفكرة و ذلك نتيجة لتضحية الشعراء بالفكرة في سبيل المحسن المقصود، فكان الشعر شبيها بالكلام المعتاد و بالنسبة للخيال فلم يكن الضوء مسلط عليه و الموضوعات كانت أغلبها مأخوذة من الشعر القديم. فأخذ الشعر يتقلب بين التخلف السابق و محاولة النهضة من جديد في هذه الفترة للتحرر من القيود و ظل كذلك إلى أن ظهرت اليقظة على أمثال الشعراء الكبار من بينهم محمود سامي البارودي.

الفصل الثاني :

محمود سامي البارودي

المبحث الأول : حياة محمود سامي البارودي و شاعريته

ولد البارودي سنة 1838م في مصر، اسمه محمود سامي البارودي وهو ابن حسن بك حسنى الذي كان من أمراء المدفعية ثم صار مديرا لدنقلة.

يعود نسبه إلى المقام السيفى نوروز الأتباكي، توفي والده و تركه صغير جدا في السن السابعة تقريبا، حمل البارودي صعوبات الحياة و كل ضغوطاتها و ذاق الحرمان وهو في سن مبكر جدا و قد كتب شعرا معبرا عن ذلك حين بلغ العشرين من عمره :¹

طَاحَ الرَّدَى بِشِهَابِ الْحَرْبِ وَ النَّادِي لَا فَارِسَ الْيَوْمَ يَحْمِي السَّرْحَ بِالْوَادِي

مَاتَ الَّذِي تُرْهَبُ الْأَفْرَانَ صَوْلَتْ هُوَ لَا يَرْهَبُ الْخَصْمُ إِبْرَاقِيَّ وَ إِرْدَاعِيَّ

مَضَى وَ خَلْفَنِي فِي سِنِّ سَابِعَةٍ لَا يَرْهَبُ الْخَصْمُ إِبْرَاقِيَّ وَ إِرْدَاعِيَّ

فَإِنْ أَكُنْ عِشْتُ فَرْدًا بَيْنَ أَصْرَتِي فَهَذَا أَنَا الْيَوْمَ فَرْدٌ بَيْنَ أَنْدَادِي

و يعرفنا البارودي عن نفسه قائلا في مقاطع نثرية : " أنا محمود سامي باشا بن حسن بكر حسني البارودي المصري كانت حياتي فيما بين 1255 و 1322هـ الموافق ل 1839 و 1904 م ".²

¹ديوان البارودي/ ضبط و تحقيق علي الجارم و محمد شفيق معروف/ ج1/ دار المعارف / القاهرة/ 1971م/ ص 250.
²محمد إبراهيم سليم / محمود سامي البارودي رائد الشعر العربي الحديث / دار النشر للطلانغ / ص 4.

و عرف نفسه من خلال أربعة أبيات قائلا: ¹

أَنَا مَصْدَرُ الْكَلِمِ الْبَوَايِدِ بَيْنَ الْمَحَاضِرِ وَ النَّوَادِي

أَنَا فَارِسٌ أَنَا شَاعِرٌ فِي كُلِّ مَلْحَمَةٍ وَ نَادِي

فَإِذَا رَكِبْتَ فَأَيْنِي زَيْدُ الْقَوَارِسِ فِي الْجَلَادِ

وَ إِذَا نَطَقْتَ فَأَيْنِي حَسَنُ بْنُ سَاعِدَةَ الْإِيَادِي

تلقى البارودي تعليمه على أساتذة كانوا يحضرون إلى منزله ، ثم دخل المدرسة الحربية و هو في سن الثانية عشر و يقال أنه تعاطى الشعر أثناء دراسته .

للبارودي تربية أدبية و من أشهد الناس على ذلك الشيخ حسن المرصفي ، وكان البارودي يميل إلى قراءة الشعر حيث قرأ عدة دواوين و حفظ البعض منها دون كلفة .

إن الظروف التي عاشها البارودي طبعت فيه بصمة خاصة في تكوين شخصيته فمذ تخرجه من المدرسة الحربية و هو له شغف في رؤية البلاد حرة مستقلة ، و لكنه تلقى إعاقة في طريقه من حكم عباس الأول فلم يلقى عمل كباقي زملائه لكن هذا لم يجعل منه إنسانا عاجزا أو يائسا أبدا بل بالعكس زاده اندفاعا نحو الحياة.

أما من ناحية شاعريته فقد كانت ملكة الشعر كامنة فيه ، و استطاع أن يتذوق في الأدب بتصوير تلك الحياة بملوحها و مرها من غزل و فكاهة و حكمة و رثاء و مديح و هجاء ، و ازداد شغفه في الأدب فحرص على تدوينه بالإضافة إلى عوامل أخرى ساعدت

¹ محمد إبراهيم سليم / نفس المرجع / ص 3-4.

البارودي في تكوين شخصيته كإطلاعه على الآداب الأخرى غير العربية من خلال رحلته إلى الأستانة مقر الخلافة تعلم اللغة التركية و الفارسية حينها و بعدها يعود إلى مصر فيجد النهضة قائمة على أسس حضارية ليستعيد الجيش مكانته من خلال هذه النهضة مما يتيح للبارودي فرصة كبيرة في استعادة مكانته هو الآخر ليرقى في مناصب الجيش ، و تتحقق أمنيته باشتراكه في معركة "كربت" و يسجل كل تلك الأحداث في شعره يصبح يسمعه للناس ليحي الأدب من جديد .

فمحمود سامي البارودي كان له اتصال بالأدب العربي القديم و الشعر الذي لم تغلب عليه زخارف اللفظ مع تدريجه في ترويض ملكته الشعري تعرضها على ضروب البراعة¹.

تلقى بعدها محمود سامي البارودي مناصب عديدة في الدولة و شارك في عدة حروب مثل حرب روسيا على تركيا سنة 1777م ، كل هذا كان يساعده و يترك أثر فيه في قول شعره خصوصا ذلك الشوق الذي كان ينتابه إلى مصر من خلال بعده عنها ، و لم تشغله أبدا حينما عين وزيرا للأوقاف ثم للحربية قائلا في شعره²:

أدورُ بعيني لا أرى غيرَ أمّةٍ من الرّوسِ بالبلقانِ يُخطئها العَدُّ

جِوَاتٌ على هُم الجبالِ لغارةٍ يطيرُ بها الضَّوءُ الصَّبَّاحُ إذا يبْدُو

إذا نحنُ سرُّنا صرَّحَ الشَّرُّ بِاسْمِهِ و صَاحَ ألقنا بالموتِ و استقلَّ الجُنْدُ

¹كامل محمد عويصة / محمود سامي البارودي / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / ط1 / 1994 / ص 30-31.

²ديوان البارودي / ج1 / ص 215.

و تشده مناظر الريف الخلابة فيقول حينها :¹

صُبْحٌ مُطِيرٌ وَ نَسَمَةٌ عَطِرَةٌ وَ أَنْفُسٌ لِلصُّبُوحِ مُنْتَظِرَةٌ

قَدْرٌ بِعَيْنَيْكَ حَيْثُ شِئْتَ تَجِدُ مَلَكًا كَبِيرًا وَ جَنَّةَ خَضِرَةٍ

وَ خَلْنَا مِنْ سِيَاسَةٍ دَرَجَتْ بَيْنَ أَنْاسٍ قُلُوبُهُمْ وَ غُرَّةٍ

يَقْضُونَ أَيَّامَهُمْ عَلَى خَطَرٍ فَبِئْسَ عُقْبَى السِّيَاسَةِ الْخَطِرَةِ

خَدِيعَةٌ لَا يَزَالُ صَاحِبُهَا بَيْنَ هُمُومٍ وَ عَيْشَةٍ كُودِرَةٍ

و بعد سقوط وزارة رياض باشا يعود البارودي للسياسة و يأخذ منصبا وزير للحربية فيحاول التوفيق بين الجيش و الخديوي إلا أن الأمور تسير بشكل سيئ ، و تتعقد خاصة بعد مؤامرة انجلترا و فرنسا على مصر ليأمرهم بالتراجع أي عن الثوار . و لكن يحدث أسوء مما توقع نتيجة الخيانة و الغدر لينفوا العديد من الثوار و على رأسهم البارودي إلى مدينة سرنديب إحدى جزر الهند مكث خلالها البارودي سبعة عشر سنة ، كانت هذه الحادثة من أكثر ما أعطى بصمة في تاريخ الشعر العربي جعلت البارودي يقول أكثر قصائده فيها من حنين إلى الوطن و مراسلة الأدباء و رثائه على الأموات و الأحباب

و زادته اطلاعا على الأدب الإنجليزي هذا من الناحية الإيجابية ، و لكن من الناحية السلبية كان قد ضعف سمعه و بصره و وهن جسمه مما اورثه السقام و العلل فقال حينها :²

كَيْفَ لَا أُنْدَبَ الشَّبَابُ وَ قَدْ أَصَبَحْتُ كَهَلًا فِي مَحَنَةٍ وَ اغْتِرَابُ

أَخْلُقُ الشَّبَابُ جَدَّتِي وَ كَسَانِي خِلْعَةً مِنْهُ رَثَّةَ الْجَابِابِ

¹ديوان البارودي / ج 2 / ص 108 – 110 .

²ديوان البارودي / ج 1 / ص 105 .

و لَوَى شِعْرٌ حَاجِبِيَّ عَلَّ عَيْدِ نِي حَتَّى أَطَلَّ كَالْهَيْدَابِ

لَا أَرَى الشَّيْءَ حِينَ يَسْنَحُ إِلَّا كَخَيَالِ كَأَنِّي فِي ضَبَابِ

وَ إِذَا مَا دُعَيْتُ صِرْتُ كَأَنِّي أَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ

كَلَّمَا رَمَتْ نَهْضَةً أَفْعَدْتُنِي وَ نِيَّةً لَا تُفْلِقُهَا أَعْصَابِي

لَمْ تَدْعُ صَوْلُ الْحَوَاثِ مِنِّي غَيْرَ أَشْلَاءٍ هِمَّةٍ فِي ثِيَابِ

و زاد أمره بؤسا عندما فقد زوجته و ابنتيه و أصحابه فرجع إلى مصر سنة 1900م مع بقية المعنيين و نظم حينئذ قصيدته المشهورة¹:

أَبَابِلُ مَرَأَى الْعَيْنِ أَمْ هَذِهِ مِصْرَ ؟ فَإِنِّي أَرَى فِيهَا عِيُونًا هِيَ السَّحْرُ

المبحث الثاني : شعر البارودي بين التقليد و التجديد و التقليد

لقد ساهمت عدة عوامل و مؤثرات في شعر البارودي و ثقافته خصوصا حفظه للشعر بما فيه الشعر القديم ، و كان شعره من قبل بعض الدارسين " ليس فيه شيء من تعقيد الفكرة و لا من القضايا المنطقية و المعاني المتوغلة في العمق، و الآراء الفلسفية، فقد رأى أن وظيفة الشعر تهذيب النفوس و تدريب الأفهام و تنبيه الخواطر إلى مكارم الأخلاق "

و الشعر عنده ومضات تلمع في سماء الخيال، و تأتي هذه الخطرات الخيالية غير متصل و لا مرتبط بعضها ببعض في حلقة متماسكة أو قصة محبوكة الأطراف أو خيال ممتد طويل في ملحمة من الملاحم أو مسرحية من المسارح تتابع حوادثها، كما أن محمد

¹ديوان البارودي / ج 2 / ص 144 .

سامي البارودي يرى الشعر الجيد هو ذلك الشعر واضح المعاني، حسن التأليف و العبارات،

هذا هو الشعر الغنائي كما يفهمه و يعرفه العرب و قد التزم البارودي هذا المذهب في ديوانه و لم يخرج عنه إلا قليلا .

و كان يرى الشعر أيضا على أنه فن مهذب فيه رعاية غير قلق أو مضطرب و لا حتى مكلف قال في ذلك:

لَمْ تُبَيِّنْ قَانِيَةً فِيهِ عَلَى خَلِيلٍ كَلَّا وَ لَمْ تَخْتَلِفْ فِي وَصْفِهَا الْجَمَلُ
فَلَا سَنَادٌ¹ وَ حَشْوٌ وَ لَا قَلْقٌ وَ لَا سُقُوطٌ وَ لَا سَهْوٌ وَ لَا عُلُّ
لَا تَنْكُرُ الْكَاعِبُ الْحَسَنَاءُ مَنطِقَهُ وَ لَا يَعَادُ عَلَى قَوْمٍ فَيَبْتِئُ ذُلُّ

فكان سر الشعر عند البارودي يكمن في طبعه و هذا الطبع هو الذي حركه لقول الشعر و دفعه منذ صغره، كما كان يميز بين أساليب القدماء و يحفظ من شعرهم ما كان جزلا رصينا. ثم تنوعت مرئيات الطبيعة أمامه ساعدته على تقوية البلاغة في نفسه فخرج شعره رقيق الحواشي منبئا عن هذا الطبع السليم و الذوق المستقيم فكان كما يقول عن نفسه:

أَقُولُ بِطَبْعِ لَسْتُ أَحْتَاجُ بَعْدَهُ إِلَى الْمُنْهَجِ الْمَطْرُوقِ وَ الْمَسْلُوكِ الْوَعْرِ
إِذَا جَاشَ طَبْعِي فَاضَ بِالْدَرِّ مَنطِقِي وَ لَا عَجَبُ فَالْدَرُّ يَنْشَأُ فِي الْبَحْرِ

¹ السناد عيب من عيوب الشعر يطرأ على ما قبل الروى مثل اختلاف الوزنين كعين بكسر العين و لجين إذا جاءنا في بيتين متتاليين .

* أغراض الشعر عند البارودي :

كان البارودي مقلدا لأسلوب القصيدة العربية و أول خاصية معروفة عند القدامى لم

يستغني عنها البارودي هي الوقوف على الأطلال:

الأحي من أسماء رسم المنازلِ و إن هي لم ترجع بيانا لسائل
 خلأ تعفها الروامس و النقت عليها أهاضيب الغيوم الحوامل
 فلأيا عرفت الدار بعد ترسُم أراني بها ما كان بالأمس شاغلي

و رغم أن هذا الضرب لا يناسب عصره إلا أنه عمل به و هذا ما يسمى بمحاكاة

القدامى. و من بين الأبيات التي حاكى فيهم القدامى في أسلوبهم و بداوتهم و ذكر

ديارهم في قوله:

يا سعد قل لي فأنت أدري متى رعان العقيق تبؤو¹
 أشتاق نجدا و ساكنيه و أين منى الغداة نجد؟

كان يعارض كثيرا القصائد المشهورة للشعراء العباسيين و أشهر معارضة كانت له

في قصيدة أبي فراس التي كان مطلعها:

أراك عصى الدمع شيمتك العدر أما للهوى نهى عليك و لا أمر
 فيقول²:

طربت و عادتني المخيلة و السكر و أصبحت لا يلوى بشيمتي الزجر
 صريع هوى يلوى بي الشوق كلما تلالا بدر أو سرت ديم غر
 إذا مال ميزان النهار رأيتني على حسرات لا يقاومها صبر
 يقول أناس أنه السحر ضلأه و ما هي إلا نظرة دونها السحر

¹ رعان جمع رعن بفتح فسكون و هي أنف يتقدم الجبل، و العقيق: الوادي المشهور بالمدينة المنورة، أو هو كل مسيل شقة ماء السيل و كذلك مواضع بالطائف و اليمامة و نجد و المقصود هنا عقيق مجد، و راجع ديوان البارودي / ج 1 / ص 259 .

² ديوان البارودي / ج 2 / ص 39 .

-الثناء : و هو من الأغراض التقليدية التي حافظ عليها و لكنه لم يرث إلا قريبا أو صديقا فقد كان صادق الشعور و يتمثل كل ما يخطر ببال الرائي من توجع و شكوى، و إظهار لمحاسن المرئي و تقديم العزاء لأهل الميت و لكنه لا يلجأ إلى اكتناه سر الموت و التفلسف فيه كما ظهر عند شوقي بعده و أروع مرثية قالها كانت على ابنه قائلاً¹:

كَيْفَ طَوَّتَكَ الْمُنُونُ يَا وَلَدِي وَ كَيْفَ أَوْدَعَتْكَ الثَّرَى بِيَدِي
وَ اكْبُدِي يَا عَلِي بَعْدَكَ لَوْ كَانَتْ تَبِلُ الْغَلِيلُ وَ اكْبُدِي
فَقَدْكَ سُلَّ الْعِظَامِ مِنِّي وَرِ د الصَّبْرِ عَنِّي وَفَتِ فِي عَضْدِي

-المديح: و قصره على ولاة مصر و شعره في هذا الفن كان قليل و لم ينسى مصر في ذلك و كان يتمثل في شكر قدم له و يقول لإسماعيل²:

فَاسْمَعْ مَقَالَةَ صَادِقٍ لَمْ يَنْتَسِبِ لِسِوَاكَ فِي أَدَبٍ وَ لَا تَهْذِيبِ
أَرَلَيْتَهُ خَيْرًا فَقَامَ بِشُكْرِهِ وَ الشُّكْرُ لِلْإِحْسَانِ خَيْرَ ضَرِيبِ
يُنْبِيكَ ظَاهِرَهُ بُوْدِ ضَمِيرِهِ وَ الْوَجْهَ وَشِمَةَ مُخْلِصٍ وَ مَرِيبِ

أي أن البارودي كان يستعمل المديح للتعريف بمنزلته و هو خالي من المبالغات و تظهر أكثر معانيه في المديح في الشعر القديم .

-الفخر: وكان غالبا ما يفتخر بالفرسان، يقول مفتخرا:

إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمُ حَقَّهَا لَا فَلَا عِزَّنِي خَالَ وَ لَا ضَمَّنِي أَبِ
خَلَفْتُ عُيُوفًا لَا أَرَى لِابْنِ حُرَّةٍ عَلَى يَدَا أَعْضَى لَهَا حِينَ يَعْضِبُ³

¹ديوان البارودي / ج 1 / ص 248 .

²ديوان البارودي / ج 1 / ص 99 .

³ديوان البارودي / ج 1 / ص 90 .

و نجد له أبياتا كذلك في الحكمة التي كانت بارزة في شعره فيقول:
 وَمَنْ تَكُنَّ الْعَلِيَاءَ هِمَّةً نَفْسِهِ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبٌ¹

نلاحظ أنه في أكثر حكمه كان يعبر عن علو المكارم و الأخلاق اللتان يحرص عليهما الشاعر ما أجل أن تسود بين أفراد مجتمعه .

- **الزهد و المدح:** فقد نظم مطولة في مدح الرسول صل الله عليه و سلم يعارض فيها البوصيري عنوانها كشف الغمة في مدح سيد الأمة .

و من هنا فالبارودي من خلال الأغراض التي ذكرت نستطيع القول بأنه شاعر مقلد حاكي القدامى، و قال العقاد في ذلك: " قد ترى للمقلد نفحة من استقلال الشخصية لا تراها للشاعر المبتكر في أكمل الصور التي تكمل فيها الحرية الفردية " .²

و قال ذلك العقاد في كتابه مجموعة أعلام الشعر عن البارودي : " ربما كانت محاكاة البارودي للأقدمين هي أنفع ما في شعره للأدب المصري الحديث، بل الأدب العربي عامة، لأنه رد للمعاصرين يقين القدرة على مجازاة العباسيين و المخضرمين و الجاهليين في ميدان اللغة و التركيب بما أتقن من معارضاتهم في المذاهب و الأساليب، و ليس أدعى من هذه الثقة إلى الابتكار و الاستقلال " .³

*المعارضات في شعر البارودي:

شهد شعر البارودي معارضات عديدة تبين من خلالها مدى تعلقه بشعر الأقدمين و إعجابه بروائعهم و حفظه لهم، فأحس نفسه قادرا على نهج منوالهم فتناول أروع ما قيل في الشعر القديم و عارضه من أشهر معارضاته الشعرية قال:

¹ديوان البارودي / ج 2 / ص 94 .

²ينظر عباس محمود العقاد / شعراء مصر و بيناتهم في الجيل الماضي / مكتبة النهضة المصرية / 1970 / ص 120 .

³عباس محمود العقاد / مجموعة أعلام الشعر / دار الكتاب العربي / بيروت / 1970 / ص 334.

قرأ لعنترة ميمته:

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءَ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ¹

رد البارودي معارضا له:

كَمْ غَادَرَ الشُّعْرَاءَ مِنْ مُتَرَدِّمٍ وَلِرَبِّ تَالِ بِيذِ شَأْوٍ مُقَدِّمٍ

فِي كُلِّ عَصْرٍ عُبْقَرِي لَا يَفِي يَفْرِي الْفُرَى بِكُلِّ قَوْلٍ مُحْكَمٍ²

قراءته للنابعة الذبياني في داليتها :

أَمِنْ آلِ مِيَّةٍ رَائِحٍ أَوْ مُغْتَدٍ عَجَلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرِ مُزَوِّدٍ³

فيقول البارودي على غرارها :

ظَنَّ الظُّنُونَ فَبَاتَ غَيْرَ مُرْسَدٍ حَيْرَانَ يَكْلَأُ مُسْتَتِيرَ الْفَرْقَدِ⁴

و كان المتنبي من أكثر الشعراء الذين أعجب بهم محمد سامي البارودي.

قال المتنبي :

أَوْدُ مِنْ الْأَيَّامِ مَالًا تَوَدَهُ وَ أَشْكُو إِلَيْهَا بَيْنَنَا وَ هِيَ جُنْدَهُ⁵

فرد البارودي معارضا له :

¹ديوان عنتره / دار بيروت للطباعة و النشر / 1965 / ص 15-16 .
²ديوان البارودي / ج 3 / تحقيق محمد شفيق معروف / ص 485-486 .
³ديوان النابعة الذبياني / ج 3 / تحقيق كرم البستاني / دار بيروت للطباعة و النشر / 1960 / ص 38-42 .
⁴ديوان البارودي / ج 1 / ص 196-198 .
⁵ديوان المتنبي / ج 2 / لعبد الرحمن البرقوقي / دار الكتاب العربي / بيروت / 1930 / ص 119 .

رَضَيْتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَالاً أَوْدُهُ وَأَيُّ امْرِئٍ يَقْوَى عَلَى الدَّهْرِ زَنْدُهُ¹

و لا بدمن الإشارة إلى مطولته الرائعة التي أسماها " كشف الغمة في مدح سيد الأمة " كما ذكرنا سابقا، و احتوت على سبع و أربعين و أربعمائة بيت أول أبياتها يقول :

يَا رَائِدَ الْبَرْقِ يَمِّمْ دَارُ الْعِلْمِ وَاحِدَ الْغَمَامِ إِلَى حَيِّ بَدِي سَلَمٍ²

و هذه كانت معارضة لقصيدة البوصيري :

أَمَنْ تَذَكَّرَ جِيرَانَ بَدِي سَلَمٍ مَزَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقَلَّةِ بَدَمٍ³

لقد تغنى شعر البارودي بالكثير من المعارضات التي كانت تكشف عن أصالته مما جعلته حريصا على أن يسير في نهج القدامى بطريقة مؤثرة، فهو لم يقف عند حد المعارضة الخارجية لهؤلاء الشعراء بل تمثل معانيهم و ألفاظهم في الكثير من قصائده و هنا نرى أثر البيئة في شعره، فالشعر القديم تتقف بالثقافة العربية و أخذ من الطبيعة و البادية مصدرا له في قول الشعر .

كان البارودي قد عمل على نفس طريقتهم و لكن هذا لا يعني بأنه سار على طريقتهم بأكمل وجه فهو قد أعطى للشعر وجهها جديدا و أحياه هذا ما جعله يسمى برائد البعث و الإحياء .

¹ديوان البارودي / ج 1 / ص 187 .

²محمد سامي البارودي / كشف الغمة في مدح سيد الأمة / مراجعة الأديب خليل عثمان / المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر / 1355هـ / ص 2 .

³ديوان البوصيري / ط الحلبي / مصر / 1374هـ / ص 190 .

*ملاحم التجديد في شعر البارودي :

كما رأينا من قبل أن البارودي كان مقلدا في الشعر، حاكي القدماء في أغراضهم و طريقة عرضهم للموضوعات و في أساليبهم و معانهم، إلا أنه كان قد جدد في الشعر و أضاف أغراض جديدة له و هذا ما جعل من شخصيته شخصية مستقلة تميزت بالتعبير و الوصف لحياته التي عاشها بالإضافة إلى تجاربه فيها كـشاركته في الحروب و أسفاره و رحلاته و خاصة ما عاشه في الظروف الأخيرة و هو في المنفى، كانت هذه التجربة قد أعطت له أفكار جديدة ليضيفها في الشعر فكان قد أضاف فن الوصف و أغراض أخرى نذكر منها :

أ- فن الوصف : رغم أننا شهدنا هذا الغرض في الشعر الجاهلي إلا أن البارودي كان قد أعطى لع ميزة خاصة من ناحية كتابته للقصيدة فجعل من الوصف غرض وحده في القصيدة بعكس الشعر الجاهلي الذي كان يستعمل الوصف في ثنايا القصيدة .

كان وصفه وصف دقيق خاصة بالنسبة للطبيعة حيث كان يجد و يرى في كل سطر من القصيدة شعرا خالدا أو آية من آيات الله عز وجل مصورا قدراته و عظمته و الإبداع في خلقه، لذا كان ديوانه ديوان مميزا بالوصف .

يقول البارودي في وصفه للمطر و الرعد¹ :

كَأَنَّمَا الْبَتْرُقُ فِيهَا صَارِمَ سَلَطَ	وَ لَيْلَةٌ دَاتُ تُهْمَتَانِ وَ أَنْدِيَّةُ
وَ أَنْهَلَ فِي حُجْرَتَيْهَا وَ ابْلَ سَبَطَ	لَفَ الْغَمَامِ أَقْصِيهَا بِبُرْدِيَّتِهِ
مِنَ الْغَمَامِ وَ لَا يَبْدُو بِهَا نَمَطَ	بَهْمَاءَ لَا يَهْتَدِي السَّارِي بِكَوْكَبِهَا
لَوْلَا صَهِيلَ جِيَادِ الْخَيْلِ وَ اللَّغَطَ	يَكَادُ يَجْهَلُ فِيهَا الْقَوْمُ أَمْرَهُمْ

¹ديوان البارودي / ج 2 / ص 200 .

يَطْغَى بِهَا الْبَرْقُ أَحْيَانًا فَيَزْجِرُهُ
مُخْرَنْطَمٍ زَجَلٍ مِنْ رَعْدِهَا خَمَطٍ
كَأَنَّمَا الْبَرْقُ سَوَاطِئُ وَالْحَيَا نَجَبٌ
يَلُوحُ فِي جِسْمِهَا مَنْ مَسَّهُ حَبَطٌ

و للبارودي حب لا ينتهي بالريف عامة و الريف المصري خاصة يقول :

عَمَّ الْحَيَا وَ اسْتَنْتَ الْجَادُولُ
وَ ازْيُنَّتْ بِنُورِهَا الْخَمَائِلُ
وَ شَمِلَ الْبِقَاعُ خَيْرَ شَامِلٍ
وَ فَاضَتْ الْعُدْرَانُ وَ الْمَنَاهِلُ
وَ غَرَدَتْ فِي أَيْكِهَا الْبَلَابِلُ
فَصَفْحَةَ الْأَرْضِ نَبَاتِ خَائِلٍ

يقول في وصفه الحصان و السيف و المعارك الحربية و الأشخاص و أدوات الحضارة و الآثار¹ :

فَسَوَادُ اللَّيْلِ مَا إِنْ يَنْقُضِي
لَا أَنْيْسَ يَسْمَعُ الشُّكُوى وَ
بَيْنَ حَيْطَانٍ وَ بَابِ مُوصَدٍ
يَتَمَشَى دُونَهُ حَتَّى إِذَا
كُلَّمَا دُرْتُ لِأُقْضِي حَاجَةَ
أَتَقْرَى الشَّيْءَ أَبْغِيهِ فَالْأُكْبُ
وَ بَيَاضُ الصُّبْحِ مَا إِنْ يَنْتَظِرُ
لَا خَبْرَ يَأْتِي وَ لَا طَيْفُ يَمُرُ
كُلَّمَا حَرَكَتِ السُّجَانِ صِرْرٍ
لَحَقَّتْهُ نَبَاهُ مَنْنِي اسْتَقْرُ
قَالَتْ الظَّلْمَاءُ مَهْلًا لَا تَدْرُ
أَجْدُ الشَّيْءَ وَ لَا نَفْسِي تَقْرُ
غَيْرَ أَنْفَاسِ تُرَامِي بِالشَّيْءِ رَرٍ

¹ديوان البارودي / ج 2 / ص 117 .

ب- الشعر السياسي : و هو من بين الموضوعات التي كان قد جدد فيها البارودي تظهر من خلاله شخصيته المتمردة على الظلم و الطغيان التي جعلت منه زعيما محبوبا، و كان في هذا الجانب يرمي شعره بالأخص نحو الثورة يصف التعذيب و ما إلى غيره .

يقول في قصيدته المشهورة التي يذم الحكام الظالمين و يحرص فيها الناس على طلب العدل في الأحكام و كان ذلك في عهد إسماعيل باشا خديوي مصر¹ :

مِنْ كُلِّ وَغْدٍ يَكَادُ الدَّسْتُ يَدْفَعُهُ بَعْضًا وَ يَلْفُظُهُ الدِّيَوَانُ مِنْ مَلِّ
دَلَّتْ بِهِمْ مِصرَ بَعْدَ الْعِزِّ وَ اضْطَرَبَتْ قَوَاعِدَ الْمَلِكِ حَتَّى ظَلَّ فِي خَلِّ
وَ أَصْبَحَتْ دَوْلَةُ الْفَسْطَاطِ خَاضِعَةً بَعْدَ الْإِبَاءِ وَ كَانَتْ زَهْرَةَ السُّدُولِ

و يقول فيها معلنا يأسه من الوطن الذي أضحى ملجأ للظلم و الظالمين :

بِئْسَ الْعَشِيرِ وَ بئُسَتْ مِصرُ مِنْ بَلَدِ أَضَحَّتْ مُنْخَا لِأَهْلُو الزُّورِ وَ الْخَطَلِ
أَرْضُ تَأْتُلُ فِيهَا الظُّلْمَ وَ أَنْقَذَفَتْ صَوَاعِقُ الْعَدْرِ بَيْنَ السَّهْلِ وَ الْجَبَلِ
وَ أَصْبَحَ النَّاسُ فِي عَمِيَاءَ مُظْلِمَةٍ لَمْ يَخُطْ فِيهَا امْرُؤٌ إِلَّا عَلَى زَلِّ
فَمَا لَكُمْ لَا تَعَافُ الضَّيِّمَ أَنْفُسَكُمْ وَ لَا تَزُولُ غَوَاشِيَكُمْ مِنَ الْكَسَلِ ؟
فَبَادَرُوا الْأَمْرَ قَبْلَ الْفَوْتِ وَ انْتَزَعُوا سُكَّالَةَ الرِّيْثِ فَالْذُنْيَا مَعَ الْعَجَلِ
وَ قَلَدُوا أَمْرَكُمْ شَهْمًا أَخَا ثِقَّةِ يَكُونُ رَدَاءً لَكُمْ فِي الْحَاثِ الْجَلِّ
مَا ضِيَّ البَصِيرَةِ غَلَابَ إِذَا اشْتَبَهَتْ مَالِكِ الرَّأْيِ صَادَ الْبَازَ بِالْحَجَلِ
إِنْ قَالَ بَرٌّ، وَ إِنْ نَادَاهُ مُنْتَصِرٌ لِبِي، وَ إِنْ هُمْ لَمْ يَرْجِعْ بِلا نَقْلِ

¹ ديوان البارودي / ج 1 / ص 114 .

يَجْلُو الْبِدِيهَةَ بِاللَّفْظِ الْوَجِيزِ إِذَا عَزَّ الْخِطَابُ وَ طَاشَتْ أَسْهُمُ الْجَدَلِ

وَ لَا تَلْجُوا إِذَا مَا الرَّأْيِ لِأَخْ لَكُمْ إِنَّ اللَّجَاجَةَ مُدْعَاةٌ إِلَى الْفَشْلِ

هَذِي نَصِيحَةٌ مَنْ لَا يَبْتَغِي بَدَلًا بِكُمْ وَ هَلْ بَعْدَ قَوْمِ الْمَرْءِ مِنْ بَدَلٍ؟

إذن نلاحظ أن القصيدة قصيدة في الشعر السياسي و هي بمثابة صيحة لمواجهة الظلم و الحث على العمل فقد استطاع البارودي من خلال هذه القصيدة أن يوفق بين رسالة الشعر و عمله من أجل أمته و بين الحلم و الحقيقة أي تارة نجده يشدو و يغرد و تارة أخرى يوقظ و ينبه في نفس الوقت، و عاطفة البارودي بارزة و جياشة في هذه القصيدة فغيرته على وطنه شديدة رغم أن المنفى عاقبه و شرده .

ج - الغزل : كان قد جدد فيع هو الآخر و خاصة عن المرأة حيث تمدح بعفتها، فواضح أن البارودي كانت في نفسه مغالبة بين عاطفتين الحب و الإباء، و قد أفصح البارودي بنفسه عن ذلك في افتتاحية ديوانه حيث قال : " و إنما هي أغراض حركتني و إباء جمح بي، و غرام سال على قلبي، فلم أتمالك أن أهبت فحركت به جرسني، أو هتفت فسريت به عن نفسي " ...

و نلاحظ من خلال هذا القول أن هناك غرضين حركوا البارودي في قوله " إباء جمع بي و غرام سال على قلبي " إلا أن الإباء استطاع أن يتخلص و يتغلب على عاطفته و هنا كان قد مال للشعر السياسي و ترك الشعر الغزلي عندما فكر أن يتكلم عن عاطفة وطنه العزيز و المواضيع الأخرى كالظلم و الاستعمار ...

أي أن شعره الغزلي كان قليلا فلم يستطع أن يطول فيه نظرا للظروف السياسية لكن هذا لا يعني أن قلة الكم هي قلة الجودة بالعكس، فطالما كان شعر البارودي من أجود الأشعار فيقول في نظرتة للمرأة العفيفة و رأيه في فلسفة العشق متغزلا¹:

وَ الْعِشْقُ مَكْرَمَةٌ إِذَا عَفَّ الْفَتَى عَمَّا يَهِيْمُ بِهِ الْغَوْبَالُ أَصْوَرُ
يَقْوَى بِهِ قَلْبُ الْجَبَّانِ وَ يِرْعَوِي طَمَعُ الْحَرِيصِ وَ يَخْضَعُ الْمُتَكَبِّرُ

و له قصيدة أخرى في هذا الصدد تعد من أجمل ما قال في الغزل :

هَلْ مِنْ فَتَى يُنْشِدُ قَلْبِي مَعِي بَيْنَ خُذُورِ الْعَيْنِ بِالْأَجْرِعِ
كَانَ مَعِي ثُمَّ دَعَا الْهَوَى فَمَرَّ بِالْحَيِّ وَ لَمْ يَرْجِعِ
فَهَلْ إِذَا نَادَيْتَهُ بِاسْمِهِ يَفِيْقُ مِنْ سَكْرَتِهِ أَوْ يَعِي

و له معاني جميلة أيضا في الغزل :

تَرَكَتْنِي مِنْ غَمَرَاتِ الْهَوَى فِي لُجِّ بَحْرِ بِالرَّدَى زَاخِرِ
أَسْمَعُ فِي قَلْبِي دَبِيبَ الْمَنَوَى أَلْمَحُ الشُّبْهَةَ فِي خَاطِرِي²

و يصف الجمال على أنه جمال الروح عند المرأة قائلا :

لَطِيفَةٌ مَجْرَى الرُّوحِ لَوْ أَنَّهَا مَشَتْ عَلَى سَارِيَاتِ الذَّرِّ مَا آدَهُ الْحَمَلُ

د - الهجاء : من الأغراض التي كان لها أهمية في التجديد عند البارودي فحوله من الهجاء الشخصي إلى الهجاء الاجتماعي أراد من ذلك محاولة تشويه بعض الصور و العيوب الموجودة في المجتمع قاصدا من خلال هذا الفعل إصلاحها، و من أبرز هذه

¹ديوان البارودي / ج 2 / ص 75 .
²ديوان البارودي / ج 2 / ص 112 .

العيوب التي ذكرها ففي شعره " النفاق - الظلم - الغدر - الجشع و الحرص على الحياة الذليلة " .

و هنا يظهر نوع من النقد الاجتماعي يقول في هذا اللون :

مَعَاشِرِ سَارُوا بِالنِّفَاقِ وَ مَا لَهُمْ أُصُولَ أَظْنَهَا فُرُوعٌ بَوَاسِقِ

فَاعْلَمِهِمْ عِنْدَ الْخُصُومَةِ جَاهِلٌ وَ أَنْفَاهُمْ عِنْدَ الْعَفَافَةِ فَاسِقِ

ه - التشبيه : و هناك بعض مظاهر التجديد في شعر البارودي كالتشبيه فكان يكثر منه، و من بين الأبيات التي عمت بهذا اللون .

تَعْرُضُ لِي يَوْمًا فَصَوَّرْتَ حُسْنَهُ بِبَلُورَتِي عَيْنِي فِي صَفْحَةِ الْقَلْبِ¹

و قوله :

فَسَرَتِ بِجِسْمِي كَهَرِبَاءَةٍ حَسَنَةٍ فَمَنْ الْعُرُوقِ بِهِ سُؤكُ تَخْبِرُ²

و كذلك قوله :

جِسْمَ بَرْتِهِ يَدِ الضَّنَى حَتَّى غَدَا قَفَصًا بِهِ لِلْقَلْبِ طَيْرٌ يُصْفِرُ

لَوْلَا النَّفْسُ لَأَعْتَلَّتْ بِي زُفْرَةٌ فَيُخَالِنِي طَيَّارَةٌ مِنْ يُبْصِرُ³

¹ديوان البارودي / ج 1 / ص 121 .

²ديوان البارودي / ج 2 / ص 74 .

³ديوان البارودي / ج 2 / راجع في الأدب الحديث ج 1 / عمر الدسوقي / ص 214-215 .

المبحث الثالث : منزلة البارودي و آثاره في الشعر

إن البارودي هو الرائد الأول لمدرسة البعث و الإحياء و يعد باعث للنهضة الشعرية في العصر الحديث فقد أعاد ديباجة الشعر و فصاحته و متانة قوافيه، و استطاع أن يخلصه من تلك القيود التي كان عليها في مرحلة الضعف من حيث اللفظ و المعنى و استطاع أن يجدد في الكثير من الأغراض على غير سابقيه الذين عاشوا عصره، و أضاف الوصف و الشعر السياسي و الهجاء الاجتماعي و كذلك الرثاء و المديح .

عبر البارودي في شعره عن حياته و تجاربه و معاركه و حروبه و استعمل منه وسيلة للكسب يقول في هذا الصدد :

وَ الشَّعْرَ زِينِ المَرْءِ مَا لَمْ يَكُنْ وَسِيْلَةً لِّمَدْحِ وَ الذَّامِ

كان للبارودي منزلة راقية في الشعر و لا تزال إلى يومنا هذا حيث اتخذوه نموذجا يحتذى به، و ذلك من خلال بصمته التي تركها في الشعر من خلال تجديده و الحرص على التقليد في نفس الوقت ما لم يستطع الكثير من الشعراء الكبار فعله، كيف حاكى الشعراء القدامى و كان مقلدا و استطاع أن يجدد في الكثير من الموضوعات .

لقد تتلمذ على يده كل من أحمد شوقي، حافظ إبراهيم، و إسماعيل صبري و الراجعي

و محمد عبد المطلب و علي الجارم و أحمد الكاشف و أحمد نسيم و أحمد الزين و غيرهم من الأدباء متأثرين بالثقافة الغربية و المذاهب الأدبية و التجديد كذلك .

تتميز مدرسة البارودي بالرصانة و القوة و سلامة القافية و الاحتفاظ بالنغم الموسيقي

و اللفظ المنتقي و وضوح المعنى و الصورة و السير على نهج القدماء في نظام القصيدة و أغراض الشعر إلا ما اقتضته ظروف البيئة و العصر الحديث .

و على الرغم من ظهور مدرسة كبيرة بعد مدرسة الإحياء و البعث كان قد تزعمها مطران و شكري و المازني و العقاد و أبو شادي إلا أن العرب عامة و مصر خاصة لا يزالون يتأثروا و يميلون إلى طريقة البارودي .

أما عن آثاره الأدبية فللبارودي ديوان في جزأين يتضمن موضوعات تقليدية من مدح فخر و حماسة ، و بعض الموضوعات المستحدثة في السياسة و الأوصاف و الهجاء الاجتماعي، و له أربع مجموعات شعرية تعرف بمختارات البارودي و هي عبارة عن قصائد شعرية منتقاة من ثلاثين ديوان شعر من شعر فحولة المولدين و شعراء الدولة العباسية و الأندلس، حتى انتقى من هذه الدواوين ما رق في اللفظ و المعنى و خلا من الحشو و التعقيد و جاءت في سبعة أبواب هي :

الأدب، المديح، الرثاء، الصفات، الهجاء، الزهد كما رتب فيها أسماء الشعراء حسب أزمنتهم لا حسب مكانتهم شأنه شأن محمد بن سلام الجمحي في ترتيب الشعراء في كتابه طبقات فحول الشعراء .

أما الشعراء الذين اختارهم البارودي منهم : بشار بن برد، العباس بن الأحنف، أبو نواس، مسلم بن الوليد، أبو العتاهية، أبو تمام البحتري، ابن الرومي، المتنبي، و أبو فارس الحمداني و غيرهم .

و أخيرا ألف عرف بقيد الأوابد أودعه عيون الرسائل، الخطب و الخواطر و قد حمل صور حياته و التوقيعات و خباياها المتنوعة¹ .

و يحضرنا هنا رأي واحد من الشعراء المجددين الذين عرفوا للبارودي قدره و علو مكانته . إنه خليل مطران الذي يرى البارودي مؤسس دولة الشعر التي حمل لواءها من بعد أحمد شوقي و حافظ إبراهيم و غيرهم .

¹ شفيق البقاعي / أدب عصر النهضة / دار العلم للملايين / بيروت / ط 1 / أوت 1990 / ص 252 .

يقول مطران : " و لا أعرف رجل كافح الردى مثلما كافحه البارودي ، و طاعن خيلا من فوارسها مثلما طاعنها، و خاض وقائع الحياة مثلما خاضها و قد كان خلق الرجل عظيما و ذكاؤه عظيما، و شعره عظيما فكان الثلاثة في مستوى واحد . و في اعتقادي أن أكثر شعره ارتباطا بحياته شعر المنفى، شعر العواطف، شعر الوجدان، شعر الألم، و ليس في هذا الشعر ما يبعث على اليأس و الاستسلام أو يولد خورا في العزيمة و إنما هو درس من دروس الشجاعة و الصبر و الجلد، درس من دروس الوفاء و علو النفس و كرم العنصر. فأخلق به أن يكون أنشودة الصبي في مكتبه، و الناسك في صومعته و الزارع في مزرعته، و الوطن في جهاده " ¹.

¹ محمد صبري / أدب و اجتماع / مطبعة مصر / 1950 / ص 59.

و من هنا نرى أن خليل مطران من أكثر الشعراء المتأثرين بشخصية البارودي عامة و شعره خاصة، فكان يراه أنه قدوة له و له منزلة خاصة تحتل قلبه يقول متحدثاً عن منزلة البارودي : " إن شعر البارودي هو بجملته صناعة لا تقاس بقديم أو حديث، مع ابتكار قليل و إحساس فياض، اختار له أحسن أساليب العرب و أفصح ألفاظهم، و تغنى بها على وحي نفسه و نفسه جارية النغمة و عاشقة الإيقاع فافتن حتى أنسى الفن، و جود حتى أذهل عن المعنى ... و لا ننسى له فضلاً جديراً بالذكر الخاص و هو أنه أول شعراء البعثة الحديثة، بمعنى أنه أول من رد الديباجة إلى بهائها وصفائها القديمين، و ما أجز قريضه لقريض جيله، فإنك لتجد الواحدة من قصائده ذاهبة صعداً إلى عهد أرقى أزمنة العرب، فهي كالجبال الشامخة و حولها القصائد الأخر كالأركان المقامة من حجارة أطلال بلا اختيار و لا نسق و هندام " ¹.

¹ د. محمد عبد المنعم خفاجي / دراسات في الأدب العربي الحديث و مدارسه / ص 72 .

الفصل الثالث :

مدرسة الشعراء المحافظين

المبحث الأول : أحمد شوقي:

لقد كان ظهور البارودي بعثا للشعر العربي حتى جعل منه صناعة لفظية و مهارة بديعية لدى أغلبية الشعراء، و أعاد له ديباجته المشرقة و معانيه الشريفة و ألفاظه الجزلة الرصينة و أغراضه الراقية، إذن فمن خلال ما ذكرناه سابقا فإن البارودي هو باعث للنهضة العربية و رائد للشعر الحديث فقد كونوا مدرسة خاصة لهم متشكلة من كبار الشعراء المحافظين على رأسهم أحمد شوقي، حافظ إبراهيم و معروف الرصافي إذن فما المقصود بمدرسة المحافظين ؟

تسمى بمدرسة الإحياء و البعث و هو أول اسم يطلق على الحركة الشعرية التي ظهرت في مصر في أوائل العصر الحديث، و التزم فيها الشعراء بنظم الشعر العربي على النهج الذي كان عليه في عصور ازدهاره، منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي و المقصود بهذا الاسم أنه كما تعود الروح لجسد الميت فترد له الحياة بعد أن فارقته، فيبعث إلى الدنيا من جديد كما هو الحال بالنسبة للشعر العربي الذي استسلم إلى حالة من الجمود أخذ على إثرها في الضعف منذ سقوط الخلافة العباسية، و خربوا بغداد و هدموا دور العلم و ألقوا بألوف المخطوطات التي تضم الثقافة العربية و تحوي تراثها في النهر .

من سمات هذه المدرسة أن الشعراء حافظوا على نهج لشعر العربي القديم في بناء القصيدة، فتقيدوا بالبحور الشعرية المعروفة و التزموا بوحدة القافية في كل قصيدة، و تابعوا خطى الشعراء القدماء فيما نظموا من الأغراض الشعرية، فنظموا مثلهم في المديح و الرثاء و الغزل و الوصف، كما جاروا في بعض قصائدهم طريقة الشعر العربي القديم في افتتاح القصيدة بالغزل التقليدي.

و البكاء على الأطلال ثم ينتقلون إلى الأغراض التقليدية نفسها من مدح و رثاء و نحوهما، كما أقدموا على استعمال الألفاظ على منوال القدماء فجاءت بعضها غريبة على عصرهم .

و أقدم كثير منهم على مناظرة روائع الشعر العربي القديم، و قلدوها بقصائد مماثلة وزنا و قافية أو موضوعا و كانت تسمى هذه المعارضة على نحو ما فعل شوقي في قصيدة نهج البردة التي عارض بها قصيدة البردة للإمام البوصيري .

و رغم كل ما قدموه من تقليد و انتهاج لما هو قديم إلا أنهم استحدثوا أغراضا شعرية جديدة لم تكن معروفة من قبل الشعر العربي كالشعر الوطني و الشعر الاجتماعي، و القصص المسرحي و نظموا الشعر في المناسبات الوطنية و السياسية و الاجتماعية، و اعتمدوا في نظمهم على الأسلوب الخطابي الذي يلائم المحافل، وكان شعرهم في مجمله هادفا في معناه تنتشر الحكمة و الموعدة بين ثناياه .

***أحمد شوقي :** هو أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي من مواليد 1868 م ينتهي نسبه من أبيه إلى الأكراد و من أمه إلى الأتراك و من عرق جركسي من جهة جدته لأبيه حيث قال عن نفسه : " أنا عربي تركي يوناني جركسي " ¹، ولد بالقاهرة، كان ووالده أمينا للجمارك المصرية و كان متلافا و قد أضع كل ثروته، فكفلته تمرار جدته لأمه التي كانت تعمل وصيفة في القصر فنشأ نشأة دلال يقال : " أنه ولد و في فمه ملعقة من ذهب " .

¹الفاخوري حنا / تاريخ الأدب العربي / دار بيروت / لبنان / 2002 / ص 972.

دخل المدرسة مبكرا و هو في السن الرابعة من عمره و كان متفوقا حيث حاز على البكالوريا و هو في سن الخامسة عشر و تابع دراسته على نفقة القصر، التحق بالحقوق و الترجمة لمدة سنتين و سافر إلى فرنسا لمواصلة دراسته سنة 1887 م و مكث فيها حوالي خمس سنوات، فنال إجازة الحقوق و كانت له فرصة التعرف على مظاهر الحضارة الأوروبية كما تمثلها باريس و مختلف رحلاته كإنجلترا، تأثر حينها بالمشرح الفرنسي حيث قرأ و شاهد عدة أعمال للأدباء الفرنسيين أمثال اسكندر ديماس .

عاد شوقي إلى القصر سنة 1891 م متأثرا بالثقافة الفرنسية و أصبح متقنا للغتهم إضافة إلى اللغة التركية و مستعملا المذهب الكلاسيكي الغربي و أصبح شاعر القصر .

أثناء عقد مؤتمر المستشرقين بجنيف عام 1894 م أنشد شوقي قصيدته " كبار الحوادث في وادي النيل " و التي مطلعها :

هَمَّتِ الْفُلُكُ وَ اخْتَوَيْتُهَا الْمَاءَ وَ خَدَاهَا بِمَنْ تَقَلُّ الرَّجَاءُ ¹

و بعد العودة تعرض أحمد شوقي للنفي إلى إسبانيا فاختر الأندلس و قد ظل مشدودا إلى أهله و حاول تصحيح علاقته بشعبه و وطنه العربي فنزل عن أرسطوريته و نافس حافظ إبراهيم في تقربه من الأوساط الشعرية . عاد في أواخر 1919 م إلى مصر ليجد الأوضاع تغيروا حيث شبت فيها الثورة الوطنية و في عام 1928 م أقيم له مهرجان و توج أمير الشعراء لأنه كتب لمصر مجموعة من المسرحيات الشعرية " كليوباترا و التاريخ " . قال شوقي ²:

يَا سَاكِنِي مِصْرَ إِنَّا لَا نَزَالُ عَلَى عَهْدِ الْوَفَاءِ وَ إِنْ غَبْنَا مُقِيمَنَا
هَلَّا بَعَثْتُمْ لَنَا مَاءَ نَهْرِكُمْ شَيْنًا نَيْلَ لَهُ أَحْشَاءُ مَا دِينَا

¹ خفاجي عبد المنعم / حركات التجديد في الشعر الحديث ص 18 .
² بن قنبة عمر / الأدب العربي الحديث / شركة دار الأمة للطباعة و النشر / الجزائر / 1999 / ص 73 .

كُلَّ الْمَنَاهِلُ بَعْدَ اللَّيْلِ أَسِنَّةٌ مَا أَبْعَدَ النَّيْلُ إِلَّا عَنَ أَمَانِينَا

كان قد وافته المنية سنة 1932م، فقامت الدولة بتنظيم عزاء على روحه الذي اشترك فيه صفوة الأدباء و الشعراء من كل ربوع الدول العربية، فكان يوم يشهد له التاريخ و سجل في طياته ، فمند ذلك الحين لم يعرف الشعر العربي شاعرا بمكانته و لا بصيته¹.

*العوامل المؤثرة في شعر شوقي :

1- أول عامل كان قد حدد لشوقي وجهته هو استعداده الفطري منذ الصغر فقد تلقى دروسا في العربية على يد الشيخ محمد البسيوني ، حيث كان يعرض عليه أشعاره و كان شوقي يصحح ما يوجد من خطأ في القافية و يحذف الأبيات غير المرغوب فيها و يغيرها بشطور أخرى، فقام البسيوني بالتحدث مع الخديوي توفيق عن هذا الأمر و ذكاء شوقي، فعملوا على رعايته و الاهتمام به حتى جعلوا منه رئيسا للقلم الإفرنجي .

2- بالإضافة إلى عامل الذكاء كان هناك عامل آخر و هو التراث و قدرة حفظ أحمد شوقي لأبيات الشعراء القدامى حيث استطاع أن يعارضهم في أحسن قصائدهم و كان يشبه نفسه أحيانا بأبي نواس و المتنبي، و أحيانا بأبي تمام و البحتري و كانت هذه المعارضات دليلا على إحاطته بنفائس الشعر العربي القديم، و كان شوقي يهتم باللفظ و المعنى أكثر من الديباجة و الصياغة إلا أنه في المنفى رجع قوي الديباجة ، رائع الموسيقى بأروع لفظ و أقوى معنى .

3- رحلات شوقي و أسفاره بدورها هي أكثر العوامل المؤثرة في شعره خاصة البلدان الغربية كفرنسا، إنجلترا، سويسرا و الأندلس أعطته هذه الأسفار تجربة واسعة أطلعتة على بيئات و حضارات مختلفة، أضاف من خلالها تعلمه و إتقانه للغات كالفرنسية و التركية .

¹ ينظر / دراسات في الأدب العربي الحديث و مدارسه / د. محمد عبد المنعم خفاجي/ ص 83 ، شوقي ضيف / فصول في الشعر و نقده / ص 331 .

4- الجانب المادي ساعد شوقي كثيرا في حياته فقد عاش حياة النعيم و الترف و الرفاهية، هذا جعل منه متأثرا في شعره حيث نلمس هذا الجانب في قصائده من خلال التشبيهات .

5- اتصال شوقي بالقصر و اطلاعه على خفايا السياسة المصرية خاصة في الظروف المشتدة بين الوطنيين و الإنجليز، ثم نفيه إلى الأندلس و عودته. والثورة المصرية سنة 1919 م كان لهذا أثر محسوس في شعره موضوعا و عاطفة حيث عبر عن مطالب شعبه و أمنيه .

6- الإيمان و خاصة الازدواجية التي كانت بارزة في شخصيته و تعلقه بالله سبحانه و تعالى و حبه لرسول الأمة صل الله عليه و سلم، فتلمس وجهته الدينية في شعره و أسباب تقربه لله خاصة عند الكروب ، فكان من المتوسلين لرسول الله صل الله عليه و سلم كثيرا من مديحه، حيث يعد من أكثر الشعراء الذين قالوا المدائح النبوية في العصر الحديث .

*شعرية شوقي :

كان شوقي أرحب أفقا و أوسع تصرفا و أغزر نتاجا و أخصب شاعرية في شعره، قال أروع القصائد و عارض أكبر الشعراء، كان متأثرا بالأدب الفرنسي حيث أضاف أغراض جديدة للشعر العربي نتيجة ذلك التأثر الذي وجدته في العرب كالتاريخ و القصة و المسرحية و الحكايات الخرافية و غيرها، كان متأثرا بالشعراء القدامى في ألفاظهم و معانيهم حيث مزج بين عاطفته و ثقافة عصره و خياله و موسيقاه ... فيجد أن محاكاته للشعراء القدامى سبب لنظمه الشعر، أما عن الأداء الموسيقي فهو أروع الخصال في شاعريته حيث يتأثر تنويع الصوت على حسب موقع الكلمة من البيت على حسب

الأساليب التي يعبر بها عن المعنى المراد من أساليب إنشائية و قد يتجلى ذلك واضحا في قصيدته غاب بولونيا قائلا¹:

يَا غَابَ بُولُونِيَا وَآلِي ذِمَمَ وَآلِي عُهُودِ
زَمَنَ تَقْضَى لِلْهَوَى وَ لَا بَظْلُكَ هَلْ يَعْوُدُ؟
حُلْمٌ أُرِيدُ رُجُوعَهُ وَ رُجُوعَ أَخْلَامِي بَعِيدِ
وَهَبَ الزَّمَانَ أَعَادَهَا هَلْ لِلشَّيْبَةِ مِنْ بَعِيدِ؟
يَا غَابَ بُولُونِ وَ بؤي وَجَدَ مَعَ الذِّكْرَى يَزِيدِ
خَفَقَتْ لِرَثْوَيْتِكَ الضُّلُ عٌ وَ زُلْزِلَ الْقَلْبُ الْعَمِيدِ
وَ أَرَاكَ أَقْسَى مَا عَهْدِ ت، فَمَا تَمِيلُ وَ لَا تَمِيدِ

وهنا نجد أن موسيقى الشعر مرتبطة بالمعنى و باختلاف المعنى تتنوع الموسيقى مع المحافظة على وحدة الوزن و القافية، و بتلك العناية الإيقاعية في شعر شوقي استطاع أن يخرج قيثارة الشعر العربي أجود و أرق ما تحمل في باطنها من أنغام و ألحان .

*الأغراض التقليدية عند شوقي:

1- التقليد: لم يكن يحرص على المديح في شعره لأنه يقيد المواهب، و قد وضح ذلك في مقدمة ديوانه الأول إلا أنه اضطر أن يستعمله لأنه له صلة بولاية مصر، فلجأ له و أضاف له الصفات الكريمة يقول في مدحه لعبد الحميد الخليفة العثماني:

فَأَحْيَيْتَ مَيِّتَا دَارِسِ الرَّسْمِ غَابِرَا كَأَنَّكَ فِيمَا جُنْتُ عَيْسَى مُقْرَبِ
سَهَرْتَ وَ نَامَ الْمُسْلِمُونَ بِعَبْطَةِ وَ مَا يُزْعَجُ النُّوَامَ وَ السَّاهُورَ الْأَبُ²
و يقول في مدحه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في عدله¹:

¹الشوقيات / ج 2 / ص 30 / و راجع المدخل إلى النقد الأدبي الحديث / د. غنيمي هلال / ص 533 .
²الشوقيات / ج 1 / ص 42 .

عُمُرُ أَنْتُ بِيَدِ أَنْكَ ظِلُّ
لِلْبَرَايَا وَ عِصْمَةَ وَ سَلَامَ
مَا تَتَّوَجَّتَ بِالْخِلَافَةِ حَتَّى
تُوجِ الْبَائِسُونَ وَ الْإِيْتَامَ
وَسَرَى الْخَصْبُ وَ النَّمَاءُ وَ وَالِي الـ
بَشَرَ وَ الظِّلُّ وَ الْجِنِّي وَ الْعَمَامَ
وَ بَدَا الْمَلِكُ عُثْمَانُ مِنْ عُـ
يَاكَ فِي الدُّرُوءَةِ الَّتِي لَا تُرَامَ

2- **الفخر** : و هو أكثر غرض استعمله الشعراء القدامى في شعرهم و بخاصة فرسانهم في جاهليتهم و إسلامهم، ثم تحول في الدولة العباسية إلى فخر الشعراء بمواهبهم و لم يكن شوقي فارسا كالبارودي إلا أنه استعمل هذا الغرض في قوله للشعر، و جاء الفخر في قصائده متفرقا بعكس البارودي. يقول البارودي في معرض رثائه لوالدته متأثرا بالمتنبي في رثاء جدته و متخذا نفس الوزن و الروي يقول شوقي :

أَتَيْتُ بِهِ لَمْ يَنْظَمْ الشُّعْرَ مِثْلَهُ وَ جِئْتُ لِأَخْلَاقِ الْكِرَامِ بِهِ نُظْمًا
وَ لَوْ نَهَضَتْ عَنْهُ الْمَاءُ وَ مَخَضَتْ بِهِ الْأَرْضُ كَانَ الْمَزْنُ وَ التَّبْرُ وَ الْكِرْمَا

3- **الغزل**: كان أحمد شوقي في هذا الغرض متكافا لأنه لم ينشأ عن عاطفة صادقة و قوية و أكثر الأسباب التي جعلته ضعيفا في الشعر الغزلي المعارضة للأقدمين، حيث تعد المعارضة نفسها تكلفة تنقب صدق العاطفة من بين المواضيع التي استعمل فيها الغزل هي وصفه للمرأة يقول²:

اللَّهُ فِي الْخَلْقِ مَنْ صَبَّ وَ مَنْ عَانَى تَفَنَّى الْقُلُوبَ وَ يَبْقَى قَلْبُكَ الْجَتَانِي
صُونِي جَمَالِكِ عَنَا إِنْنَا بَشَر مِنْ التُّرَابِ وَ هَذَا الْحُسْنُ رُوحَانِي
أَوْ فَاثْبَغُوِي فَلَا تَأْوِينَهُ مَلِكَا لَمْ يَتَّخِذْ شِرْكََا فِي الْعَالَمِ الْفَانِي

¹ ديوان شوقي / ج 1 / ص 296 .
² الشوقيات / ج 2 / ص 141 .

4- الرثاء : كان يرثي شوقي العظماء كثيرا مستعملا المديح فقد شمل رثاءه رجال العروبة و الإسلام و مختلف الطبقات ردا على منتقديه الذين عابوا عليه إسرافه في كثرة المراثي قائلا :

يَقُولُونَ يَرِثِي الرَّاحِلِينَ فَوَيْحُهُمْ أَمَلْتُ عَنِ الرَّاحِلِينَ الْجَوَازِيَا¹

لم يكن شوقي رثاءه شديد الحزن مثلما فعلوا سابقيه بل اتخذ منه وسيلة للإصلاح و فلسفة الموت و الحياة و السؤال عن الآخرة، من أروع مراثيه قوله في حافظ إبراهيم²:

قَد كُنْتُ أَوْثِرَ أَنْ يَقُولَ رِثَائِي يَا مُنْصِفَ الْمَوْتَى مِنَ الْأَحْيَاءِ
لَكِنْ سَبَقْتُ وَ كُلُّ طُولِ سَلَامَةٍ قَدْرٌ وَ كُلُّ مَنِيَّةٍ بِقَضَاءِ
الْحَقِّ بَادِي فَاسْتَجَبْتُ وَ لَمْ تَزَلِ بِالْحَقِّ تَحْفَلُ عِنْدَ كُلِّ نِدَاءِ
وَ أَتَيْتُ صَحْرَاءَ الْإِمَامِ تَذُوبٍ مِنْ طُولِ الْحَنِينِ لِسَاكِنِ الصَّحْرَاءِ

5- الحكمة : كذلك أكثر شوقي من شعر الحكمة جاريا على عادة فحول الشعراء و الأقدمين و خاصة المتنبي و لم يكن له مذهب فلسفي خاص، إلا أنه كثرة فلسفته و تأملاته الواسعة جعلته يستخدم الحكمة و يكثر منها في شعره، تحدث عن الأخلاق أهم الأبيات المشهورة في هذا اللون :

وَ إِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هَمُّوا ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا
و قوله³:

وَ الْجَهْلُ مَوْتٌ فَإِنْ أُوتِيَتْ مُعْجَزَةٌ فَأَبْعَثْ مِنَ الْجَهْلِ أَوْ فَأَبْعَثْ مِنَ الرَّحْمِ
و قوله⁴:

إِنْ مَلَكَتِ النَّفُوسُ فُأَبِغِ رِضَاهَا فَلَهَا ثُورَةٌ وَ فِيهَا مَضَاءُ

¹ الشوقيات / ج 3 / ص 181 .

² الشوقيات / ج 3 / ص 22 .

³ الشوقيات / ج 1 / ص 251 .

⁴ ديوان شوقي / ج 1 / ص 25 .

*ملاح التجديد عند أحمد شوقي :

تمكن شوفي من إضافة لون جديد على شعره تاركاً لمستته الخاصة من ثقافة و رفاهية و نضج، فقد انطلق يبحث عن معالم جديدة يؤكد بواسطتها أن العربية قابلة دائماً (مع المحافظة على أصالتها) لكل جديد، و تبدو ملاح التجديد واضحة من خلال الأغراض التالية :

1- في التاريخ :

كان شوقي متأثراً بالتاريخ و قد درس فيه و بحث كثيراً، فكان شعره التاريخي صورة معبرة عن الحياة خصوصاً أنه اهتم بتاريخ مصر القديم ذاكراً أعظم و أجمل ما فيه من قصائد و ملاحم، كما اهتم كذلك كل الاهتمام بتاريخ مصر الإسلامية بلغ به الحرص على تخليد مجد الإسلام، فخصص له جزءاً منفرداً به، كما سلط الضوء كذلك على تاريخ الأتراك و كان قد كتب عنها بانيته المشهورة .

و أكثر أبياته التي أبدى فيها تقديره للتاريخ قوله :

عَالَ بِالتَّارِيخِ وَ اجْعَلْ صَفْحَةً	مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فِي الإِجْلَالِ قَابَا
قَلْبِ الإِنجِيلِ وَ انْظُرْ فِي الهُدَى	تَلَقَّ لِلتَّارِيخِ وَزُنَا وَ حَسَابَا
مِثْلَ القَوْمِ نَسُوا تَارِيخَهُمْ	كَأَقْيَطِ عِي فِي النَّاسِ انْتِسَابَا
أَوْ كَمَغْلُوبٍ عَلَى ذَاكِرَةِ	يَشْتَكِي مِنْ صِلَةِ المَاضِي انْتِسَابَا

و له من الملاحم التاريخية قصيدته المشهورة كبار الحوادث في وادي النيل :

هَمَّتِ الفَلَكُ وَ احْتَوَاهَا المَاءُ	وَ حُدَاهَا بِمَنْ تَقِلُّ الرِّجَاءُ ¹
---	--

و كان قد ألقى هذه القصيدة في مؤتمر المستشرقين سنة 1894 و استعرض فيها

تاريخ مصر منذ فجر التاريخ، تحتوي تقريباً على ثلاث مائة بيت خالية من الضعف .

و بانيته المشهورة كما سبق الذكر تزيد على مائتين و خمسين بيتاً قالها واصفاً تاريخ

العثمانيين من أحداث و وقائع يقول في مطلعها :

¹الشوقيات / ج 1 / ص 1 .

بِسَيْفِكَ يَعْلُو الْحَقُّ وَالْحَقُّ أَغْلَبُ وَ يَنْصُرُ دِينَ اللَّهِ أَيَّانَ تَضْرِبُ¹

و مع ذلك فإن شوقي أولى أكثر اهتماماته لتاريخ الأمة الإسلامية و أعطاهما اهتماما خاص، وازن فيها بين الماضي و الحاضر و كتب أجمل قصائده عن الرسول صلى الله عليه و سلم أشهرها نهج البردة و الهمزية متحدثا عن تاريخهم من قبل البعثة النبوية إلى غاية تيسر حالهم .

يقول في إحدى قصائده للرسول صلى الله عليه و سلم :

أَتَيْتَ وَ النَّاسُ فَوْضَى لَا تَمُرْ بِهِمْ إِلَّا عَلَى صَنَمٍ قَدْ هَامَ فِي صَنَمٍ
وَ الْأَرْضُ مَمْلُوءَةٌ جُورًا مَسْخَرَةٌ بِكُلِّ طَاغِيَةٍ فِي الْخَلْقِ مَحْتَكُمٍ
مُسَيِّطِرُ الْفُرْسِ يَبْغِي فِي رَعِيَّتِهِ وَ قَيْصِرُ الرُّومِ مِنْ كِبَرِ أَصَمِّ عَمٍ
بُعْدْبَانَ عِبَادِ اللَّهِ فِي شُبَيْهِ وَ يَذْبَحَانِ كَمَا ضَحَّيْتَ بِالْغَنَمِ²

و إذا قرأت لشوقي في التاريخ نجده قد مزج بين العاطفة الدينية و العاطفة القومية و نوع ما من الحزن خاصة عندما يذكر ما حل بمصر من محن و أزمات، و كان شعره التاريخي مطولا نوعا ما خاصة و أن شعراء مدرسة المحافظين كانوا قد اهتموا بالشعر الإسلامي يصفون بطولاتهم متخذين منهم قدوة و فخر، و كيف كان يسير الحكم حينها مفعما بالعدل و المساواة .

يقول شوقي مخاطبا رسول الله صلى الله عليه و سلم³:

فَرَسَمْتَ بَعْدَكَ لِلْعِبَادِ حُكُومَةً لَا سَرِقَةَ فِيهَا وَ لَا أَمْرَاءَ
اللَّهُ فَوْقَ الْخَلْقِ فِيهَا وَ خُدَّةُ وَ النَّاسُ تَحْتَ لِوَائِهَا أَكْفَاءُ
وَ الدِّينُ يَسِرُ وَ الْخِلَافَةُ بِيَعَّةِ وَ الْأَمْرُ شُورَى وَ الْحُقُوقُ قَضَاءُ
الْإِسْتِرَاكِيونَ أَنْتَ إِمَامُهُمْ لَوْلَا دَعَاوِي الْقَوْمِ وَ الْعُلُوءِ

¹ديوان شوقي / ج 1 / ص 75 .

²الشوقيات / ج 1 / ص 197 .

³ديوان شوقي / ج 1 / ص 26 .

وَ أَخْفَ مِنْ بَعْضِ الدَّوَاءِ الدَّاءِ
لَا مَنَةَ مَمْنُونَةَ وَ جَبَاءِ
حَتَّى التَّقَى الكُرْمَاءِ وَ البُخْلَاءِ
فَالكُلُّ فِي حَقِّ لَدَيْكَ سِوَاءِ

دَاوَيْتَ مُتَنِدًا وَ دَاوُوا طُفْرَةَ
الْبِرِّ عِنْدَكَ ذِمَّةً وَ فَرِيضَةَ
جَاءَتْ فَوَحَدَتْ الزَّكَاةَ سَبِيلًا
أَنْصَفْتَ أَهْلَ الْفَقْرِ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى

2- في الوصف :

من أكثر الأغراض التي جدد فيها، فقد وصف الأشخاص كما رأهم و الطبيعة كما مشي
في مظاهرها خاصة الطبيعة المصرية التي وصفها بجنة الدنيا، يصف الجزيرة وصفا
رائعا يقول :

هِيَ بِلُقَيْسٍ فِي الْخَمَائِلِ صَرَحَ
حَسْبُهَا أَنْ تَكُونَ لِلنَّيْلِ عُرْسًا
لَبَسَتْ بِالْأَصِيلِ حُلَّةً وَشَى
قَدَّهَهَا النَّيْلُ فَاسْتَحَتْ فَتَوَارَتْ
مِنْ عَبَابٍ وَ صَاحِبِ غَيْرِ نَكْسٍ¹
قَبْلَهَا لَمْ يَجِنْ يَوْمًا بِعُرْسِ
بَيْنَ صَفَاءِ فِي الثِّيَابِ وَقَسِ
مِنْهُ بِالْجِسْرِ بَيْنَ عَرَى وَ لَبَسِ

و قد أبدع شوقي في وصف الآثار إبداعا عظيما، و له في دمشق و الأندلس يقول في
وصفه لدمشق :

وَ قَدْ صَفَا بَرْدِي لِلرِّيحِ فَأَبْتَرَدَتْ
تُمْ أَنْتَنَتْ لَمْ يَزَلْ عَنْهَا الْبَلَالُ وَ لَا
لَدَى سُتُورِ حَوَاشِيهِنَّ أَفْنَانُ²
جَفَّتْ مِنَ الْمَاءِ أَذْيَالُ وَ أَرْدَانُ

و هكذا يبرز فن الوصف في شعر أحمد شوقي حيث جدد فيه من ناحية الاهتمام بوصف
الطبيعة و ظروف العصر التي عاشها فيقول ما يراه بعينه و ما يحسه بقلبه عن
الموصوف .

¹ الشوقيات / ج 2 / ص 46 .

² الشوقيات / ج 2 / ص 101 .

3- الاجتماع :

يعد شعر الاجتماع نوع جديد على الأدب العربي لأن هذا الغرض في القديم كان يقتصر على الطبقات الراقية و الملوك... و لم يعطي أهمية للطبقة الكاذبة و بما أن الفترة التي ظهر فيها شوقي كانت فترة نهوض و ساعدته على قول الشعر في هذا اللون، و كان موضوع الفقر نادرا عند شعر شوقي لأنه تربى في نعيم و ثراء فلم يرى ما يعيشه الإنسان و يعانيه من حرمان، إلا أنه قال ولو القليل .

فقال في ذلك حاثا على مساعدة الهلال الأحمر :

جَبْرِيلَ هَلَّالٍ فِي السَّمَاءِ، وَكَبَّرَ وَ اكْتُبْ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ وَ سَطَّرَ
سَبِيلَ الْفَقِيرِ عَلَى تَكْرُمِهِ الْغَنَى وَ اطْلُبْ مَزِيدًا فِي الرَّخَاءِ الْمُوَسِّرِ

إلا أنه مشكلة الفقر لم تكن الوحيدة في شعر شوقي الاجتماعي، بل هناك مواضيع أخرى وهي نشر الوعي و محاولة النهوض بالأمة العربية فيقول في المعلم :

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِيهِ التَّبْجِيلُ كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا¹

كما تكلم شوقي عن مواضيع أخرى و خاصة الجهل و التخلف و الآفات الاجتماعية كالانتحار و الزواج المبكر أو زواج القاصرات إلى ما غير ذلك، راجيا من هذا أن تكون أمة عربية راقية حيث كان في هذا الضرب سهل الأسلوب .

4 - الفكاهة :

كان شوقي من أكثر الشعراء الذين اهتموا بالفكاهة، إضافة إلى إسماعيل صبري و علي الليثي و صفوت الساعاتي و غيرهم إلا أنه كان أعمق منهم و ذو روح مرحة، لم يلجأ إلى التورية أي التلاعب بالألفاظ . استعمل عدة أغراض في هذا اللون من بينهم الرمز و

¹الشوقيات / ج 1 / ص 218 .

استعمله كحيلة لتوصيل بعض الرسائل للحكام المتملقين و الطاغين بطريقة غير مباشرة، و من أمثله في ذلك حكاية بعنوان " الأسد و وزيره الحمار " فيقول¹ :

اللَيْثُ مَلِكُ الْقَقَارِ	وَ مَا تَضُمُ الصَّحَارِي
سَعَتِ إِلَيْهِ الرَّعَايَا	يَوْمًا بِكُلِّ انْكَسَارِ
قَالَتْ تَعِيشُ وَ تَبْقَى	يَا دَامِي الْأُظْفَارِ
مَاتَ الْوَزِيرُ فَمَنْ ذَا	يَسُوسُ أَمْرَ الضَّوَارِي
قَالَ: الْحِمَارُ وَ زِيرِي	قَضَى بِهِذَا اخْتِيَارِي
فَاسْتَضَحَّكَتْ ثُمَّ قَالَتْ	مَاذَا رَأَيْ فِي الْحِمَارِ؟
وَ خَلَقْتَهُ وَ طَارَتْ	بِمُضْحَكِ الْأَخْبَارِ
حَتَّى إِذَا الشَّرُّ وَ لَى	كَلِيلَةَ أَوْ نَهَارِ
لَمْ يَشْعُرِ اللَّيْثُ إِلَّا	وَ مَلَكَه فِي دَمَارِ
الْقِرْدُ عِنْدَ الْيَمِينِ	وَ الْكَلْبُ عِنْدَ الْيَسَارِ
وَ الْقِطْبُ بَيْنَ يَدَيْهِ	يَلُوهُ بِعَظْمَةِ فَارِ
فَقَالَ: مَنْ فِي جُودِي	مَثَلِي عَدِيمِ الْوَقَارِ
أَيْنَ أَقْدَارِي وَ بَطْشِي	وَ هَيْبَتِي وَ اعْتِبَارِي
فَجَاءَهُ الْقِرْدُ سِرًّا	وَ قَالَ بَعْدَ اعْتِدَارِ
يَا عَالِي الْجَاهِ فِينَا	كُنْ عَالِي الْأَنْظَارِ
رَأَى الرَّعِيَةَ فِيكُمْ	مَنْ رَأَيْكُمْ فِي الْحِمَارِ

هنا شوقي يقصد بالحمار ذلك الشخص الثقيل، و أحيانا كان يستعمل الفكاهة لغرض حسن كالضحك مع أصدقائه .

5- الشعر المسرحي أو التمثيلي :

كذلك المسرح من الفنون الجديدة التي أضافا شوقي للشعر بعد أن حاول خلل اليازجي سنة 1870 و أبو خليل القباني سنة 1884 لكن باءت محاولاتهم بالفشل، فنجح شوقي في ذلك و كانت أول محاولة له سنة 1893 بعنوان مسرحية "علي بك الكبير" و هو طالب و كان أسلوبه ضعيفا لأن وسائل التأليف المسرحي لم تكن مهياً، فأعاد كتابتها سنة 1932، أما مسرحياته الأخرى كان قد ألفها بعد أن تطورت فيه هذه الموهبة و أصبح شاعرا كبيرا فأخرج عدة مسرحيات من بينهم " مصرع كليوباترا " و " مجنون ليلى و عنتره " ...

و أعاد النظر في مسرحية " قمبيز " و هو أحد الحكام على مصر يتميز بالعنف و الظلم . إن المسرحيات عند شوقي قد أعطت نكهة و لذة لكل من يريد أن يجدد و يدرس فيها، وهي مستوحاة من التاريخ إلا أن بعض النقاد كانوا قد انتقدوه من ناحية السير على المادة التاريخية في المسرح إلا أن هذا ما زاده شغف و فخر فأحس أنه أتى بما لم يستطع المجيء به من قبل، و من بين نماذج شعره المسرحي في " مصرع كليوباترا " حوار بين كليوباترا و وصيفتها شرميون حول النصر المزعوم .

شرميون:

طِ بِمُوجُونَ فِي حُبُورٍ وَ بَشْرٍ	الْجَمَاهِيرِ يَا مَلِيكَةَ بِالشَّ
مِنْ ظُهُورٍ عَلَى الْعَدُوِّ وَ نَصْرٍ	سِرَّهُمْ مَا لَقِيَتْ فِي أَكْثَرِ
إِلَّا نَبَأَ بَاتٍ فِي الْمَدِينَةِ يَسْرِي	لَا يَقُولُونَ أَوْ يُعِيدُونَ

كليوباترا:

كَذِبٌ، رَوَوْا صَرَاحَ لِعُمْرِي	يَا لِإِفْكَ الرَّجَالِ مَاذَا أَدَاغُوا
أَلْسَنَ النَّاسِ فِي مَدِيحِي وَ شُكْرِي	أَيَّ نَصْرٍ لَقِيَتْ حَتَّى أَقَامُوا
لَيْتَ مِنْهُ لَنَا قَلَامَةَ ظُفْرٍ	ظُفْرٍ فِي فَمِ الْأَمَانِ حُـ

وَ عَدَا يَعْلَمُ الْحَقِيقَةَ قَوْمًا تِي

لَيْسَ شَيْءٌ عَلَى الشُّعُوبِ بِسُرِّ

شرميون:

رَبَّهُ التَّاجِ ذَلِكَ الصُّنْعَ صُنْعِي
كَثُرَتْ أُمْسٌ فِي الْإِيَابِ الْأَقَاوِيلِ
فَأَذَعْتُ ذَلِكَ الَّذِي أَذَعْتُ عَنِ النَّصِّ
خَفْتُ فِي خَاطِرِي عَلَيْكَ الْجَمَاهِيرُ
فَاعْفِرِي جُرْأَةً فَيَا رَبَّ ذَنْبِ

أَنَا وَحْدِي وَ ذَلِكَ الْمَكْرَ مَكْرِي
وَ ظَنَّ الظُّنُونُ مَن لَيْسَ يَدْرِي
رَ وَ أَسْمَعْتُ كُلَّ كُوخٍ وَ قَصْرٍ
وَ أَشْفَقْتُ مِنْ عَدَا لَكَ كَثْرٍ
يُنْتَعِبُ الْعُذْرَ فِيهِ، مَهَّدْتُ عُنْدِي¹

لقد حقق شوقي نجاح كبير في المسرح، فتأثروا به عدة أدباء و ظهرت طائفة من الشعراء تسير على نفس نهجه في المسرح أهمهم عزيز أباظة كانت لديه عدة مسرحيات نذكر منها " قيس و لبنى " و " عبد الرحمن الناصر " و " العباسة " كلها مسرحيات تاريخية، و بعدها اتجه إلى المسرحيات الاجتماعية كمسرحية " أوراق الخريف " .
توجد ظاهرة واضحة في شعر المسرح عند شوقي و هي تأثره بالمدرسة الفرنسية الكلاسيكية التي كانت تستمد موضوعاتها من مآسي التاريخ اليوناني و الروماني سواء كان حقيقيا أم أسطوريا، فاستمد شوقي هو الآخر موضوعات مآسيه من التاريخ المصري و العربي، كما كان شعره المسرحي مفعم بالعاطفة من خلال النماذج التي كتبها ككليوباترا و ليلي اللتان ضحيتان بحبهما في سبيل الحفاظ على التقاليد².

كما تأثر أيضا بالمدرسة الرومانسية و بشكسبير فهو لا يتقيد بنظرية الوحدات الثلاثة " وحدة الموضوع، المكان، الزمان " كما تقيدها الكلاسيكيون الفرنسيون، فأضاف الفكاهة

¹ مصرع كليوباترا / أحمد شوقي / ص 14 .

² ينظر شوقي ضيف / فصول في الشعر و نقده / ص 347 .

مثلما فعل شكسبير و الرومانسيون و قام بالكتابة فيها بحذر دون المبالغة ليجعل منه مسرحا يناسب أمته و يتناسب مع قضايا بيئته السياسية و الخلقية و النفسية¹ .

*القصة على لسان الحيوان في شعر شوقي :

عرف الأدب العربي منذ القدم هذا النوع من القصص على لسان الحيوان أو الطير مثل قصة الثور الذي فرط في حقه و حق زميله حتى فتك بهم الأسد جميعا، فقال عندما جاء دوره : "إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض"² .

ثم عرف الأدب العربي مزيدا من القصص على لسان الحيوان و الطير عندما ترجم عبد الله بن المقفع كتاب كليلة و دمنة إلى العربية عن الفارسية، و كان قد وضعه في الأصل الفيلسوف الهندي "بيدبا" .

و كثرت ترجمات كليلة و دمنة و لكن هذه الترجمات كلها ذهبت و بقيت ترجمة ابن المقفع التي أصبحت المصدر الوحيد لهذا اللون الأدبي، نقل الكتاب إلى لغات أخرى كالسريانية و اليونانية و الإيطالية و مختلف اللغات الأخرى³ .

و تعدد نظم كليلة و دمنة على يد أبو السهل الفضل بن نوبخت الفارسي و هو أحد المنظمين لها، و كان لافونتين الفرنسي من أشهر الأدباء الغربيين الذين تأثروا بالقصة على لسان الحيوان و لاسيما كتاب كليلو و دمنة الذي ترجمه حسين كاشفي إلى الفارسية و اقتبس لافونتين منه نحو عشرين حكاية⁴ .

و جاء شوقي في العصر الحديث مهتما بهذا الفن فأداه أحسن أداء، يقول من وراء تناوله للقصص على لسان الحيوان : " و جريت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب

¹ ينظر المرجع السابق / ص 348 .

² محمد أحمد جاد المولي و محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي / قصص العرب / ج 4 / طبع الحلبي / مصر / 1939 / ص 260 .

³ ينظر تاريخ آداب اللغة العربية / جورج زيدان / ج 2 / ص 135 .

⁴ ينظر الأدب المقارن / د.حسن جاد / القاهرة / 1975 / ص 57 .

لافونتين... و في هذه المجموعة شيء من ذلك ... فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث أجمع بأحداث المصريين و أقرأ عليهم شيئاً منها فيفهمونه لأول وهلة، و يأنسون إليه و يضحكون من أكثره، و أنا أستبشر لذلك و أتمنى لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المستحدثة منظومات قريبة التناول يأخذون الأدب و الحكمة من خلالها على قدر عقولهم. و الخلاصة أنني كنت و لا أزال ألوي في الشعر على كل مطلب، و أذهب من قضائه الواسع في كل مذهب، و المأمول أننا نتعاون على إيجاد شعر للأطفال، و أن يساعدنا سائر الأدباء و الشعراء على إدراك الأمنية " ¹.

و قد استطاع شوقي أن يكتب للأطفال أكثر من ثلاثين قصة شعرية على لسان الحيوان و الطير تتميز بسهولة الأسلوب و وضوح الصورة، و هذا الاختيار يحي إلى علاقة شوقي بنفسية الأطفال و معرفة شغفهم ليأخذوا من قصصه مغزى تربوي و تهنئبي فهو فائدة لهم و لإمتاعهم .

و تدور القصص على لسان الحيوان عند شوقي حول تصوير المفارقات، و تتكلم حول النفاق عند الامتحان و الشر المتغلب على الخير و الغرور و عن الشخصيات المتملقة و الفضولية و الطماعة و الكذابة، ليحدد مصيرهم في الأخير نتيجة لأعمالهم السيئة مثل سفينة نوح ليخرج الشاعر بمغزى حقيقي من وراء هذه الأعمال الأدبية، و قصد من خلالها الكبار و الصغار، و من هنا بعض نماذج عن أعمال شوقي مستعملا القصة على لسان الحيوان و الطير :

أ- قصة الديك الهندي و الدجاج ²:

بَنِيْنَا ضِعَافٍ مِّنْ دَجَاجِ الرِّيفِ
تَخْطُرُ فِي بَيْتِ لَهَا ظَرِيفِ
إِذْ جَاءَ هِنْدِي كَبِيرِ العُرْفِ
فَقَامَ فِي البَيْتِ مَقَامَ الضَّيْفِ

¹ الشوقيات مقدمة الطبعة الأولى .

² الشوقيات/ ج 4 / راجع الأدب المقارن د.حسنجاد / ص 65 / الأدب المقارن / د.محمد غنيمي هلال / ص 193 .

يَقُولُ: حَيَا اللَّهُ ذِي الْوُجُوهِهَا
أَتَيْتُكُمْ أَنْشُرَ فِيكُمْ فَضْلِي
وَ كُلُّ مَا عِنْدَكُمْ وَ حَرَامٌ
وَ لَا أَرَاهَا أَبَدًا مَكْرُوهًا
يَوْمًا، وَ أَفْضِي بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ
عَلَى إِلَّا الْمَاءَ وَ الْمَنَامَ

و هنا يقصد بالدجاج الضعيف المواطنين

ب- قصة الحمامة و الصياد التي أضاف لها فن الحكمة قائلا¹:

يَمَامَةٌ كَانَتْ بِأَعْلَى الشَّجَرَةِ
فَأَقْبَلَ الصَّيَّادُ ذَاتَ يَوْمٍ
فَلَمْ يَجِدِ لِلطَّيْرِ فِيهِ ظِلًّا
فَبَرَزَتْ مِنْ عُشِّهَا الْحَمَقَاءَ
تَقُولُ جَهْلًا بِالذِّي سَيَّحَدُثُ
فَالْتَفَتَ الصَّيَّادُ صَوْبَ الصَّوْتِ
فَسَقَطَتْ مِنْ عُرْشِهَا الْمَكِينِ
تَقُولُ قَوْلَ عَارِفٍ مُحَقِّقٍ
أَمِنَةٌ فِي عُشِّهَا مُسْتَتِرَةٌ
وَ حَامٌ حَوْلَ الرَّوْضِ أَيَّ حَوْمٍ
وَ هَمَّ بِالرَّحِيلِ حِينَ مَلَأَ
وَ الْحُمُقُ دَاءٌ مَالَهُ دَوَاءُ
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَمَّا تَبْحَثُ
وَ نَحْوَهُ سَدَدَ سَهْمِ الْمَوْتِ
وَ وَقَعْتَ فِي قَبْضَةِ السَّكِينِ
مَلِكْتَ نَفْسِي لَوْ مَلِكْتَ مَنْطِقِي

إذا نستخلص من ذلك أن الحكاية الشعرية عند شوقي هي بمثابة رسالة موجهة للصغار و الكبار، تتميز بالإيجاز و تدور حول حادثة شعورية يعتمد فيها على السرد و الحوار مع قلة الشخصيات، فعادة ما كان يستعمل شوقي شخصيتين أو ثلاثة تكون الأحداث فيها مرتبة ترتيبا منطقيا مع استعمال عقدة مناسبة للموضوع و وضع حل يتضمن حكمة أخلاقية أو مغزى تربوي موظفا الرمز و الحكاية و الفكاهة مع أسلوب سهل و براعة التصوير، كما نستنتج أيضا أن اللون القصصي عند شوقي هو صورة فنية فيها موهبته و آثاره الدراسية، استطاع أن يترك بصمته في القصص المصري بوجه خاص و القصص العربي بوجه عام .

¹ الشوقيات / ج 4 / ص 172 .

*منزلة شوقي و أثره في الأدب العربي :

سار شوقي في طريقه على نهج البارودي و لطالما أراد أن يصبح مثله متخذاً منه مثله الأعلى فلم يبق هذا حلماً بل أصبح شاعر اللغة العربية الأكبر في العصر الحديث، فاستطاع أن يضيف للشعر ألوان جديدة و مختلفة سماه تجديد العقلاء، ربط فيه بين ماضيه و حاضره ببراعة و صدق فالتمس في تجديده كل من الموضوعات و القالب و الصورة مع حضور العاطفة و الحرص على العبارات المتينة و الموسيقى الرائعة و لعل هذا الحرص هو الذي أغرى ناقديه فاتهموه بالتقليد بالرغم أن هذه الصورة هي ما ميت ظاهرة التجديد عنده¹.

برزت النزعة الإنسانية بعمق عند شوقي سواء في شعره الذاتي و الموضوعي، تمثلت هذه الإنسانية في وطنه المصري، العربي و الإسلامي خصوصاً بعد تعرضه للمنفى و حنينه إلى وطنه قال حينها أشهر بيت له :

وَطَنِي لَوْ شَغُلْتُ بِالْخُدِّ عَنْهُ نَازَ عَنِّي إِلَيْهِ فِي الْخُدِّ نَفْسِي²

كان شوقي متعلقاً كثيراً بمصر يفرح لأفراحها و يحزن لآلامها. مجد تاريخها و رثى عظمائها و في جانب آخر كان شاعر الإسلام يتأثر بدولة الخلافة و جعل منهم رمز للوحدة و الشمول .

تأثر كذلك بالطبيعة فصور مناظرها في أحسن صورة .

لم تكن شخصية شوقي ثابتة كما قال العقاد و الدكتور أحمد أبو شادي، فالعقاد يقول بأنه كان متصرف و لم يكن مجدد مئة بالمائة، و أحمد أبو شادي يقول عنه : " إنه من أولئك الشعراء الذين لهم جملة شخصيات"³ معنى ذلك أن الشاعر أو الأديب لا يبدأ من فراغ بل لابد من وجود مؤثرات عامة و خاصة ينطلق منها تكون العامل في تكوين شخصيته،

¹ ينظر / من التجديد في شعر شوقي / محاضرة للأستاذ عمر الدسوقي أقيمت في جمعية الشبان المسلمين في 19-10-1957 بمناسبة مرور خمسة و عشرين عاماً على وفاة شوقي .

² الشوقيات / ج 2 / ص 45 .

³ قضايا الشعر المعاصر / أحمد أبو شادي / ص 68 .

و شوقي نوع من ذلك لأن حياته كانت قريبة من الكلاسيكية فتأثر بالكلاسيكيون فحاكى الشعراء القدامى أحيانا و عارضهم أحيانا أخرى خصوصا أنه أعجب بهؤلاء الشعراء، ولاسيما البارودي بكثرة و هذا الإعجاب هو الذي جعله شاعر مجيد في تصوير الحرب و أعمال الفروسية و غيرهم، رغم أنه لم يكن لا فارسا و لا مشاركا في الحروب إلا أنه برع في تصوير تلك المشاهد .

استعمل أحمد شوقي الحكمة بكثرة و جعلها من أركان الشعر حيث حد ذلك في قوله :
مَا لَمْ يَكُنْ نَجْوَى وَ عَاطِفَةً أَوْ حِكْمَةً فَهُوَ تَقْطِيعَ أَوْزَانِ

كما تميز شعره بالتخلق و الرقي و التراث و الإحياء و كل هذا يعد من مظاهر الكلاسيكية نتيجة تأثره بهم، لذا فهو من الرغم من أنه شاعر جدد ففي الموضوعات إلا أنه بقي يصنف ضمن الشعراء المحافظين، و رأى أنه من الأحسن الإبقاء على نظام القصيدة القديم شكلا و مضمونا و من جهة أخرى له كل الفضل و التقدير لإضافته لألوان أخرى على الشعر و التي تمثلت في الحكاية على لسان الحيوان والطيور و في الشعر الفكاهيو الشعر التاريخي، ثم الشعر المسرحي.

توفي شوقي سنة 1932 تاركا أعمال رائعة و ضخمة تستحق الدراسة و البحث .

المبحث الثاني : حافظ إبراهيم

هو حافظ بن إبراهيم فهمي ولد عام 1869م بذهبية، أبوه مصري كان يشتغل مهندس و أمه تركية، توفي والده عمر حافظ في الرابعة من عمره فذاق مرارة اليتيم فانتقل هو و أمه إلى القاهرة .

التحق حافظ بالمدرسة الأولية ثم مدارس أخرى كالخديوية و بعدها انتقل مع خاله ليدرس في المعهد الأحمدى، فكان يقضي معظم وقته في دراسة الكتب .

بعدها التحق بالمدرسة الحربية و تخرج منها سنة 1891م و عين في الوزارة الحربية نحو ثلاث سنوات .

عاش حافظ إبراهيم حياة قلقة نوعا ما فيها بعض المعاناة و البؤس، لكنه كان إنسان متفائل و دائما ما تجده ذو روح فكاهية يميل إلى المزاح .

تعرف حافظ بعدها على الكثير من الطبقات المثقفة في مصر و عزز العلاقات بهم و اتصل بعدها برجال السياسة و الفكر و الدين و زعماء الإصلاح و النهضة أمثال الشيخ محمد عبده، سعد زغلول و مصطفى كامل و غيرهم فأفسحوا له كل الفرص و المساعدات و الدعم نظرا لإعجابهم به، كما زاد اتصاله بالشعب و التعرف على أحوالهم ففي تلك الفترة ظهر أدباء أمثال إمام العبد يتكلمون عن بؤس الناس، فنتج عن ذلك شعر يسمى بالشكوى، فأحس شوقي بتك الآلام و الشكاوي مما زاده تعلقا بالشعب و لاسيما الشعب الفقير فهتف بشعره يطالب بالنهضة و عن الإصلاح و الإرشاد .

و حاول أيضا التقرب من القصر فاستعمل المدح في الشعر و من بين الشخصيات التي لمسها السلطان عبد الحميد، و مدح الترك كذلك إلا أن هذا المدح لم يكن تابع عن عواطف حقيقية أي متصنع .

عين حافظ سنة 1911م في دار الكتب المصرية كموظف و حافظ على هذا المنصب إلى غاية وفاته سنة 1932م فكانت تلك الفترة أكثر فترة ساعدته على النشر و قول الشعر¹ .

*شعر حافظ إبراهيم :

كان حافظ شاعر مقلد كبقية الشعراء الذين سبق ذكرهم و مجددا في نفس الوقت، فحافظ على الموضوعات من ناحية رصانتها و تماسكها من جهة، وجدد في الشعر السياسي و الاجتماعي من جهة أخرى.

من ناحية الموضوع كان حافظ مقتربا اقترابا شديدا بذوق القدماء فقال الرثاء عن صدق عاطفة و وفاء، و أحيانا حزين في شعره نظرا لحياته.

أ- من أجمل مرثيه هي مرثية للشيخ محمد عبده² :

¹ ينظر مقال الأستاذ عبد الوهاب النجار بعنوان صفحة مجهولة من حياة حافظ / مجلة أبوللو / المجلد الأول / 1933 / ص 324 .
² مدارس الشعر العربي في العصر الحديث / صلاح الدين محمد عبد التواب / دار الكتاب الحديث / القاهرة / 2005 / ص 115 .

سَلَامٌ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ مُحَمَّمٍ	سَلَامٌ عَلَى أَيَّامِهِ النَّضْرَاتِ
عَلَى الدِّينِ وَالدُّنْيَا عَلَى الْعِلْمِ وَالْحِجَابِ	عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى عَلَى الْحَسَنَاتِ
لَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى عَادِي الْمَوْتِ قَبْلَهُ	فَأَصْبَحْتُ أَخْشَى أَنْ تَطُولَ حَيَاتِي
فَوَا لَهْفِي وَ الْقَبْرِ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ	عَلَى نَظْرَةٍ مِنْ تِلْكَمُ النَّظْرَاتِ
تَبَارَكْتَ هَذَا الدِّينُ دِينٌ مُحَمَّمٌ	أَيْتَرَكَ هَذَا الدِّينَ بِغَيْرِ حَمَآةٍ
أَبْنَتْ لَنَا التَّنْزِيلُ حُكْمًا وَ حِكْمَةً	وَ فَرَّقَتْ بَيْنَ النُّورِ وَ الظُّلُمَاتِ
وَ وَفَّقَتْ بَيْنَ الدِّينِ وَ الْعِلْمِ وَ الْحِجَابِ	فَأَطْلَعَتْ نُورًا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِ

ب- الشعر الوطني:

فكان حافظ قريب من شعبه و وطنه فأحس بهم إحساسا كبيرا، فأخذ يقول الشعر ناهيا عن الظلم و الطغيان، و لكن بعزة و احترام و كان متفائل بأمر مصر سوف تتحرر و هذا ما تؤكدته قصيدته " مصر تتحدث عن نفسها " و هي أروع قصيدة له يقول فيها¹:

وَقَفَّ الخَلْقُ يَنْظُرُ جَمِيعًا	كَيْفَ أُنْبِي قَوَاعِدُ الْمَجْدِ وَحَدِي
وَ بُنَاةُ الأَهْرَامِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ	كَفُونِي الْكَلَامِ عِنْدَ التَّحْدِي
أَنَا تَاجُ العَلَاءِ فِي مُفَرِّقِ الشُّبَّ	رَقِّ وَ دَرَاتِهِ فَرَايِدُ عَفْدِي
أَيُّ شَيْءٍ فِي الغَرْبِ قَدْ بَهَرَ النَّأ	سَ جَمَالًا وَ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ عِنْدِي
فَتْرَابِي تَبَّرَ وَ نَهْرِي فُرَاتِ	وَ سَمَائِي مَصْقُولَةٌ كَالْفُرُنْدِ
وَ رِجَالِي لَوْ أَنْصَفُوهُمْ لِسَادُوا	مِنْ كُهُولِ مِلءِ العُيُونِ وَ مَرْدُ
لَوْ أَصَابُوا لَهُمْ مَجَالًا لِأَبْدُوا	مُعْجَزَاتِ الذِّكَاةِ فِي كُلِّ قَصْدِ

ج- الشعر الاجتماعي:

كان حافظ في هذا اللون مصورا لآلام شعبه يصور أحاسيسهم و معاناتهم اليومية و شجع الموضوعات الخيرية، و المشاريع المختلفة التي تساعد على تخفيف هذا الألم وخاصة رعاية الأطفال فكان يميل إلى الأطفال المشردين، يقول في هذا:

أَنْقِدُوا الطِّفْلَ إِنَّ فِي شَقْوَةِ الطِّ
فَلْ شَقَاءَ لَنَا عَلَى كُلِّ حَالٍ
إِنَّ يَعْشَ بِأَيْسًا و لَمْ يَطْوَهُ الْبُؤُ
س يَعْشُ نَكْبَةً عَلَى الْأَجْيَالِ
أَنْقَدُوهُ فَرُبَّمَا كَانَ فِيهِ
مُصْلِحٌ أَوْ مُغَامِرٌ لَا يُبَالِي

كان يميل في الشعر الاجتماعي إلى الحياة المادية فتكلم عنها كظاهرة ليست حسنة فيقول¹:

أَيُّهَا الْمُصْلِحُونَ ضَاقَ بِنَا الْعَيْشُ
و لَمْ تُحْسِنُوا عَلَيْهِ أَلْقِيَامَا
أَصْلِحُوا أَنْفُسًا أَضْرَّ بِهَا الْفَقْرُ
ر و أَحْيَا بِمَوْتِهَا الْأَثَامَا
و أُغِيثُوا مِنَ الْغَلَاءِ نُفُوسًا
قَدْ تَمَنَّتْ مَعَ الْغَلَاءِ الْحَمَامَا

كان غرض حافظ من هذا الشعر هو الإصلاح و الدعوة إلى المساندة و التضامن. فيه نوع من القسوة خالي من العاطفة نظرا لتأثرهم الكبير بالطبقة الكادحة لهذا سمي بشاعر الشعب، يعبر عن آماله السياسية في التحرر و آماله الاجتماعية في النهضة و التطور.

د- شعر الوصف:

كذلك معروف عند حافظ وصف الطبيعة و مختلف الظواهر الطبيعية كوصف الزلزال، كما وصف الليل و الشمس و البورصة و نادي الأعمال الرياضية و وصف رحلاته التي قام بها أيضا، كرحلته لإيطاليا يقول واصفا للشمس²:

هِيَ أُمُّ الْأَرْضِ فِي نِسْبَتِهَا
هِيَ أُمُّ الْكَوْنِ وَ الْكَوْنُ جِنِينٌ
هِيَ أُمُّ النَّارِ وَ النَّورُ مَعَا
هِيَ أُمُّ الرِّيحِ وَ الْمَاءِ الْمُعَيَّنُ

¹ المرجع السابق / ص 117.
² ديوان حافظ / ج 1 / 207-208.

هِيَ نَشْرُ الْوَرْدِ طَيِّبِ الْيَاسْمِينِ

هِيَ طَلَعُ الرُّوْضِ نُورًا وَ جَنَّةً

وَ ضَلَالٌ وَ هُدًى لِلْعَابِرِينَ

هِيَ مَوْتُ وَ حَيَاةٌ لَالُورَى

هـ- المدح:

كان عنده من أهم أغراضه التقليدية و لكنه كان يستعمله بميزة خاصة فيبدأ بالغزل أولاً ليصل إلى الغرض المقصود يقول في مدحه للبارودي:

تَعَمَّدْتُ قَتْلِي فِي الْهَوَى وَ تَعَمُّدًا

فَمَا أَثِمْتُ عَيْنِي وَ لَا أَلْحَظُ اعْتَدَى

كَلَانَا عُدْرٌ فَعُدْرِي شَبِيبَتِي

وَ عُدْرُكَ أَنِّي هَجَبْتُ سَيْفًا مُجَرِّدًا

هُوِينَا فَمَا هُنَا كَمَا هَانَ غَيْرُنَا

وَ لَكِنَّا زِدْنَا مَعَ الْحُبِّ سُؤْدَدًا

وَ مَا حَكَمْتُ أَشْوَاقَنَا فِي نُفُوسِنَا

بِأَيْسَرٍ مِنْ حُكْمِ السَّمَاحَةِ وَ النَّدَى

نُفُوسٌ لَهَا بَيْنَ الْجَنُوبِ مَنَازِلَ

بَنَاهَا التَّقِيُّ وَ اخْتَارَهَا الْحُبُّ مَعْبَدًا

وَ فِتْنَانَةٌ أَوْحَى إِلَى الْقَلْبِ لِحَظِّهَا

فَرَّاحٌ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْوَخِيِّ وَ اغْتَدَى

تَيَمَّنَهَا وَ اللَّيْلُ فِي غَيْرِ زِيَّهِ

وَ حَاسِدُهَا فِي الْأَفْقِغْرَى بِي لِعَدَا¹

هـ- الحكمة:

استعمل حافظ الحكمة في شعره و لكن لم تكن مستقلة في قصائد خاصة، بل منتشرة و أمثال شعره في الحكمة قوله:

إِذَا اللَّهُ أَحْيَا أُمَّةً لَنْ يَرُدَّهَا

إِلَى الْمَوْتِ قَهَّارٌ وَ لَا مُتَجَبِّرٌ²

و قوله:

فَمَا ضَاعَ حَقٌّ لَمْ يَنْمِ عَنْهُ أَهْلُهُ

وَ لَا نَالَهُ فِي الْعَالَمِينَ مُقْصِرٌ³

و قوله:

فَتَعَلَّمُوا فَالْعِلْمُ مِفْتَاحُ الْعُلَا

لَمْ يَبْقَ بَابًا لِلسَّعَادَةِ غَلْفًا

¹المرجع السابق / ص 7 .

²ديوان حافظ / ج 2 / ص 41.

³المرجع نفسه / ص 42.

ثُمَّ اسْتَمَدُوا مِنْهُ كُلُّ قِوَامِكُمْ إِنَّ الْقِيَامَةَ بِكُلِّ أَرْضٍ يَتَّقِي¹

و- التيار الإسلامي و النزعة الدينية:

كانت بارزة في شعر حافظ إبراهيم فتأثر بعدة شخصيات عظيمة في الدين و الإسلام، من خير الأمثلة عن هذه الشخصيات عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله:

رَأَيْتُ فِي الدِّينِ آرَاءَ مَوْقِفَةً فَأَنْزَلَ اللَّهُ قُرْآنًا يُزَكِّيهَا
و كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ قَرَّتْ بِصُحْبَتِهِ عَيْنَ الْحَنِيفَةِ وَ اجْتَازَتْ أَمَانِيهَا
قَدْ كُنْتُ أَعْدِي أَعَادِيهَا فَصِرْتُ لَهَا بِنِعْمَةِ اللَّهِ حِصْنًا مِنْ أَعَادِيهَا
خَرَجْتُ تَبْغِي أَدَاَهَا فِي مُحَمَّدِهَا وَ لِلْحَقِيقَةِ جَبَّارٌ يُوَالِيهَا
فَلَمْ تَكُنْ تَسْمَعُ الْآيَاتِ بِاللُّغَةِ حَتَّى انْكَفَأَتْ تَنَاوِي مِنْ يُنَاوِيهَا
سَمِعْتَ سُورَةَ طهَ مِنْ مُرْتَلِيهَا فَزَلْزَلَتْ نِيَّةً قَدْ كُنْتَ تَنْوِيهَا
وَ قُلْتُ فِيهَا مَقَالًا لَا يُطَاوِلُهُ قَوْلُ الْمُحِبِّ الَّذِي قَدْ بَاتَ يَطْرِيهَا
وَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ عَزَّ الْحَقُّ وَ ارْتَفَعَتْ عَنِ كَاهِلِ الدِّينِ أَثْقَالُ يُعَانِيهَا²

و يقول عن حياة عمر و مواقفه الإسلامية:

هَذِي مَنَابِقُهُ فِي عَهْدِ دَوْلَتِهِ لِلشَّاهِدِينَ وَ لِلْأَعْقَابِ أَحْكِيهَا
فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ نَابِلَةٌ مِنَ الطَّبَائِعِ تَعْدُو نَفْسُ وَاعِيهَا
لَعَلَّ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ نَابِلَةٌ تَجْلُو لِحَاضِرِهَا مِرَاةَ مَاضِيهَا
حَتَّى تَرَى بَعْضُ مَا شَدَّ أَوَائِلُهَا مِنْ الْأُصْرُوحِ وَ مَا عَانَاهُ بَانِيهَا
وَ حَسْبُهَا أَنْ تَرَى مَا كَانَ مِنْ عُمَرَ حَتَّى يُنَبِّهَ مِنْهَا عَيْنُ غَافِيهَا³

لقد نوع حافظ في الأغراض القديمة و تطرق إليها كلها، لكن قلبه مال للتجديد فأراد ذلك حتى طبق ما أراده فقال أروع قصيدة له عن التجديد أسماها " الشعر":¹

¹المرجع نفسه / ص 62.

²ديوان حافظ / ج 1 / ص 79-80.

³المرجع نفسه / ص 97.

ضَعَتْ بَيْنَ أَنْهَى وَ بَيْنَ الْخِيَالِ	يَا حَكِيمُ النَّفُوسِ يَا ابْنَ الْمَعَالِي
ضَعَتْ فِي الشَّرْقِ بَيْنَ قَوْمِ هُجُودٍ	لَمْ يُفَيْقُوا وَ أُمَّةً مَكْسُـالٍ
قَدْ أَذْلُوكَ بَيْنَ أَنْسٍ وَ كَأْسٍ	وَ غَرَامٍ بِظَبِّيَّةٍ أَوْ غَزَالٍ
وَ نَسِيبٍ وَ مِدْحَةٍ وَ هِجَاءٍ	وَ رِثَاءٍ وَ فِتْنَةٍ وَ ضَلَالٍ
وَ حَمَاسٍ أَرَاهُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ	وَ صِغَارٍ يَجْرُ ذَيْلِ اخْتِيَالٍ
عِشْتُ مَا بَيْنَهُمْ مُذَالًا مَضَاعَا	وَ كَذَا كُنْتُ فِي الْعُصُورِ الْخَوَالِي
حَمْلُوكَ الْعِنَاءِ مِنْ حُبِّ لَيْلَى	وَ سُلَيْمِي وَ وَقْفَةَ الْأَطْلَالِ
وَ بُكَاءٍ عَلَى عَزِيزٍ تَوَلَّى	وَ رُسُومٍ رَاحَتْ بِهِنَّ اللَّيَالِي
وَ إِذَا سَمَوَا بِقَدْرِكَ يَوْمًا	أَسْكُنُوكَ الرَّحَالَ فَوْقَ الْجَمَالِ
أَنْ يَا شَعَرَ أَنْ نَفَكَ فُيُودًا	فَيَدْتَنَّا بِهَا دُعَاةَ الْمَحَالِ
فَارْفَعُوا هَذِهِ الْكَمَائِمَ عَنَّا	وَ دَعَوْنَا نَشْمَ رِيحِ الشَّمَالِ

لقد شمل التجديد عند حافظ موضوعات الشعر فنظمه أحسن نظم خاصة الشعر السياسي و الاجتماعي، و لم يشمل التجديد عنده الأسلوب أو الصور البيانية و لا البحور و الأوزان، بل كان تجديده مغاير تماما².

*خصائص الشعر عند حافظ إبراهيم:

1- إن المعاني عند حافظ لم تكن عميقة و ذلك راجع لمحدودية الثقافة عنده، فيركز على المعاني أكثر من الدراسة، و لم يسافر كثيرا بل كان دائما بالقرب من شعبه مما جعله يحثك بهم احتكاكا غزيرا عكس البارودي وشوقي. لذا ركز على المعاني القديمة نتيجة

¹المرجع نفسه / ص 237-238.

²ينظر في دراسات في الأدب العربي الحديث و مدارسه / د.محمد عبد المنعم خفاجي / ص 118 .

تأثره بالدب القديم، و لم تكن لغات حافظ الأجنبية جيدة إلا أنه ترجم "البؤساء" ليفكتور هيجو بالفرنسية بمساعدة مجيدين للغة الفرنسية، و لكن الترجمة لم تكن بإتقان.

2- يكاد شعر حافظ يخلو من التألم الدقيق، فتأمله سطحي نوعا ما يميل إلى التكرار في ألفاظه عادة، و أكثر العبارات التي كررها في شعره "سلام علي" كما يستعمل المبالغة على عادة القدماء.

3- ضعف قوة الابتكار التي تعتمد على الخيال، مثل شوقي الذي كان قادرا على التصوير و التأليف في المناظر لأنه تميز بقوة الخيال وهو الذي لا نجده عند حافظ.

4- قوة العاطفة، يقول عنه أحمد أمين¹: "إثارة نفس السامع و القارئ، فما يسمع شعره سامع ولا يقرؤه قارئ إلا توثبت نفسه و هاجت مشاعره.. و أجمل ما في هذه العاطفة أنها ليست من ذلك النوع المألوف الذي اعتدناه في كثير من الأدب العربي من إفراط في المديح، فإن العاطفة التي يبعثها ضعيفة من ناحية ميلها إلى أمور شخصية، و الأدب الذي ينبعث من عاطفة شخصية و يبعث عليها، قد يكون فاترا كما أن عاطفته ليست من هذا النوع الذي يذوب رقة في غزل أو هيام في حب، فإن هذا النوع قد كثر حتى مل، و هو في كثير من الأحيان أجوف، و هو في كثير من الأحيان نتاج عاطفة مريضة، فليس من الخير أن يبيع الإنسان عواطفه بهذه السهولة و هذا الرخص".

فالعاطفة قوية عند حافظ خصوصا في الشعر السياسي و الاجتماعي .

5-بالإضافة إلى جمال العاطفة و قوتها، نجد ذلك الانسجام في شعره بين اللفظ و الأسلوب و الإيقاع، و خصائصه من ناحية الأسلوب يلخصها في ثلاث نقاط:

أ- غلبة التقليد في الأسلوب و إتباع القدماء.

ب- الجزالة في التركيب، و الأناقة في التعبير، و الفخامة في الأداء.

ج- العناية بالألفاظ و الالتفات إلى الموسيقى جعلته من شعراء الصنعة.

¹مقدمة ديوان حافظ إبراهيم / ص 37.

و أخيرا نستطيع القول أن حافظ إبراهيم من أبرز الشعراء المحافظين، وجد في مظاهر الضعف مكانة له و ذلك بفضل تغنيه بأمان قومه و بما حقق لشعره من ديباجة نقية ناصعة، دل فيها على موهبة شعرية و تمكن من ناصية البيان.

المبحث الثالث: معروف الرصافي

هو شاعر عراقي ولد ببغداد سنة 1875م، كان أبوه جندي لكنه كان بعيد عنه فتعلق بأمه و جده من أمه و كان أبوه يصفه على أنه كثير الصلاة، كثير تلاوة القرآن، حديد المزاج إذا غضب أخاف و إذا ضرب أوجع.

تعلم معروف الرصافي مبادئ العلم و الإسلام منذ صغره، دخل المدرسة العسكرية فوجد صعوبة في التأقلم بشروط المدرسة الصارمة لأن طبعه كان يميل إلى الحرية فبقي فيها لمدة سنتين و أكمل تعليمه حرا خاصة المدارس الدينية مثل مدرسة محمود شكري الألوسي، درس فيها أكثر من اثنتي عشر عاما تخصص اللغة العربية و مختلف آدابها و علوم أخرى كالفقه و المنطق و لكن صحبته للألوسي كانت قد تركت أثر قوي في حياته فوجهته تلك الوجهة.

عاش معروف بعض الضيق و الفقر في تلك الفترة و كان يخجل أحيانا فعبر عن هذا الوضع قائلا:

وَ أَقْنَعُ بِالْقُوتِ الزَّهِيدِ لِطَيْبِهِ حَذَارٍ وَ قُوعِي فِي خَبِيثِ الطَّاعِمِ
وَ أَتْرُكُ مَا قَدْ تَشْتَهِي النَّفْسُ نَيْلَهُ لَمَّا تَشْتَهِيهِ قَلَّةٌ فِي دَرَاهِمِي

ظل معروف يشتغل في التعليم لفترة و بعدها جاءته دعوة من تركيا ليقوم بتحرير جريدة "إقدام"، و كان ذلك بعد إعلان الدستور العثماني سنة 1908م لكن صاحبها تراجع فألغيت الدعوة، و عاد الرصافي إلى العراق فدعي مرة أخرى لتدريس اللغة العربية بالمدرسة الملكية و الهاشمية و يقوم بالكتابة باللغة العربية أيضا في مجلة الإرشاد فقبل

الدعوة و عمل هناك. كما قام بتدريس الخطابة في مدرسة "الواعظين"، و بعدها اتجه إلى القدس لتدريس أدب اللغة بدار المعلمين.

ثم استدعي إلى العراق سنة 1921م من قبل الحكومة لتنصيبه نائب رئيس لجنة التأليف و الترجمة، ثم عين مفتشا بعدها للغة العربية بوزارة المعارف سنة 1924م، و بعدها استقال من العمل الحكومي سنة 1928م بصفة نهائية و قضي حياته بعيدا عن المراكز السياسية إلى غاية وفاته و كانت سنة 1945م¹.

اشتهر الرصافي في شعره بالحرية و الثورة و التمرد على أوضاع بلاده المزرية يقول في هذا:

تَعَوَّدْتُ أَلَا أَسْتَنِيْمَ إِلَى الْمَنَى
وَ أَلَا أَرَى بَهِيئَةً تَأْتِي²

إن دراسة معروف الرصافي للأدب القديم و كثرة حفظته للشعر الجاهلي ساعدته في شاعريته فاعترف بذلك حين قال: " درست العربية أكثر من اثنتي عشرة سنة على أعلم رجل بها في بغداد و مارست آدابها طول حياتي، و تدبرت كتب، و استعنت على مفردات اللغة برواية الشعر، فكنت أكثر من عشرة آلاف بيت من الشعر الجاهلي و الإسلامي، و قلت حتى زعم بعض الناس أنني أجيده، و أنا مع ذلك كله لست مصونا من الخطأ في القراءة".

و كانت رحلاته و أسفاره كذلك لها أثر ي تكوين شاعريته حيث عرف أصناف الطبقات من غنية و فقيرة في أكثر من بلد فمال إلى الشعر الاجتماعي الذي كان يفيض بالعاطفة و هو يرسلها إلى الشعب مشاركا لهم في أوجاعهم و ظروفهم، لذا فالألم كان يعد عنصر من بواعثه الشعرية يقول معترفا بذلك: " إن مشاهد الألم كانت من أشد البواعث عندي إلى نظم الشعر ".

¹ ينظر في مدارس الشعر العربي في العصر الحديث / د.صلاح الدين محمد عبد التواب / دار الكتاب الحديث / القاهرة / 2005 / ص 126-127.

² راجع مقدمة ديوان الرصافي للشيخ عبد القادر المغربي / ص 63-73.

يرى الرصافي أن الشعر أساس الحياة، فالبلاد الراقية هي نفسها تلك البلد التي حضت برقي الشعر، و جعل الشعر مقياس الأدبية في كل أمة، لأنه يصور لنا ألوان الحياة و منازعها و الشعر الحديث ليس بتقليد للغرب و إنما بتصوير الحياة بنكهة أخرى. و الشعر عند الرصافي لم يبلغ تلك الغاية المطلوبة فإذا أردنا أن يكون للشعر مستقبل زاهر يجب توفر عوامل التقدم و الرقي، كما أنه أقر بحتمية الوزن و القافية فيقول: " فالشعر المرسل إنما هو اقتران الرعونة بالشعر، و أما الشعر المنثور العري من الوزن و القافية فهو شعر بالمعنى الأعم، أي شعر بمعانيه، فهو تقليد للشعر المنظوم من جهة الغاية، و أنا أستحسن الشعر المنثور لأنه خير واسطة لإنبات القرائح و إثارة العواطف لا غير، إلا أنني أفضله على الشعر المنظوم، إن حقيقة الشعر قائمة بالوزن، لأنه بالوزن وحده يصلح للغناء"¹.

من أكثر الشعراء القدامى الذين تأثر بهم معروف الرصافي هو النابغة الذبياني لدرجة أشد من الولع، يقول عن ذلك: " و كنت أشد ولوعا بنابغة بني ذبيان، لأنني أرى في شعره أقصى ما وصل إليه من درجات البلاغة".

كما أعجب بأبي الطيب، و أبي العلاء و يقول: " لأنني لم أر شاعرية تعلقو على شاعرية المتنبي، و لأن المعري كان أمة وحده بفلسفته العليا و حكمته الناصعة"².

أما عن رأيه في المحدثين أعجب بحافظ إبراهيم كثيرا و أحمد شوقي، يقول: " و إنني أفضل حافظا بنقاوة ألفاظه و صدق تراكيبه و وضوحها، و أفضل أحمد شوقي ببعض معانيه أحيانا"³.

كان للرصافي قصائد كثيرة تنوعت مواضيعها ففي قصيدته " أناو الشعر" يروي سيرة الفكر و المعاني في الشعر، و قصيدته " شاعر البشر" تحدث فيها عن روحه الشعرية و التي تميل إلى الفلسفة. و قصيدة أسماها " المتنبي" يشير فيها إلى الحكمة في الشعر

¹دراسات في الأدب العربي الحديث و مدارسه / د.محمد عبد المنعم خفاجي / ص 152.

²المرجع السابق / ص 152.

³المرجع نفسه / ص 152.

و القدرة البيانية و المعاني مع حسن الألفاظ و الأساليب يقول في قصيدته " البروفيسور":

فَيَا شُعْرَاءَ الْقَوْمِ كُفُّوا وُغَاكُمُ فَشَرَّحَ الْعُلَا فِي بَعْضِ شِعْرِي مُلْخَصًا¹

و يقول:

تَرَكْتُ مِنَ الشُّعْرِ الْمَدِيحَ لِأَهْلِهِ وَ أَنْشَدْتُهُ يَجْلُو الْحَقِيقَةَ بِالنُّهَى
وَ أَرْسَلْتُهُ عَفْوًا فَجَاءَ كَمَا تَرَى وَ نَزَهْتُ شِعْرِي أَنْ يَكُونَ قِرَاعًا
وَ يَكْشِفَ عَن وَجْهِ الصَّوَابِ قِنَاعًا وَ قَوَّافِي تَجْتَابُ الْبِلَادَ سِرَاعًا²

***الأغراض الشعرية عند الرصافي:**

ربط الرصافي الشعر بالحياة فقرأ في الشعر القديم و سار على نهج شعرائه أحسن سير، و جدد في قصائده ليعطي له طعم جديد و نكهة أخرى فاختر التجديد في الموضوعات و الأساليب ليشمل هذا التجديد القصة الشعرية و الشعر العلمي و الفلسفي و شعر الثورة و التمرد على الظلم و المناداة بالعدالة الاجتماعية، أو الشعر الاجتماعي لكن من أهم الأغراض التي تناولها الرصافي في شعره هي الشعر السياسي، الشعر الاجتماعي، و شعر الوصف.

1- الشعر السياسي و الوطني:

نظرا لمشاركة الرصافي في الحياة السياسية فقد كانت له الفرصة في قول الشعر في السياسة، فشهد مظاهر أجبرته على الوصف و لاسيما مظاهر الترف و الفساد و السياسة للتكلم عنها، و وضع الأمر في الصورة و أكبر مأساة عاشها هي احتلال بلده العراق من قبل بريطانيا، فلم يرضى بالسكوت بل قاوم و تكلم حتى آخر نفس له فدافع عنه بكل روح

¹ديوان الرصافي / ص 217.

²المرجع نفسه / ص 126.

وطنية يقول:

بَرِئْتُ إِلَى الْأَحْرَارِ مِنْ شَرِّ أُمَّةٍ
عَجِبْتَ لِقَوْمٍ يَخْضَعُونَ لِدَوْلَةٍ
وَأَعْجَبَ مِنْ ذَا أَنَّهُمْ يَرْهَبُونَهَا
أَسِيرَةَ حُكَّامِ ثِقَالِ قُبُودِهَا
يَسُوسُهُمْ بِالْمُوبِقَاتِ عَمِيدُهَا
وَ أَمْوَالِهَا مِنْهُمْ وَ مِنْهُمْ جُنُودُهَا

لم يرغب الرصافي أن ينفصل عن الدولة العثمانية ففي نظره أنها دولة وحدت المسلمين و جمعتهم، فهو أراد الحفاظ على التراث الإسلامي فساند تركيا و دافع عنها يقول:

يَا قَوْمُ إِنَّ الْعِدَا قَدْ هَاجَمُوا الْوَطْنََا
وَ اسْتَنْفَرُوا لِعَدُوِّ اللَّهِ كُلِّ فَتْنَى
وَ اسْتَنْهَضُوا مِنْ بَنِي الْإِسْلَامِ قَاطِبَةً
وَ اسْتَقْتَلُوا فِي سَبِيلِ الذُّودِ عَنْ وَطَنِ
فَأَنْضُوا الصَّوَارِمَ وَ أَحْمُوا الْأَهْلَ وَ الْأَسْكَنَا
مِمَّنْ نَأَى فِي أَقَاصِي أَرْضِكُمْ وَ دَنَا
مِنْ يَسْكُنُ الْبَدُوَّ وَ الْأَرْيَافُ وَ الْمُدُنَا
بِهِ تُقِيمُونَ دِينَ اللَّهِ وَ السُّنُنَا

و أعطى رأيه في المعاهدة التي عقدت بين إنجلترا و العراق على أنها تحمل ذل كبير فيقول:

نَشَرُوا الْمُعَاهِدَةَ الَّتِي فِي طَيْبِهَا
وَ الْعَهْدَ بَيْنَ الْإِنْجِلِيزِ وَ بَيْنِنَا
مِنْ ذَا رَأَى ذَنْبُ الذَّنَابِ مُصَافِحًا
فَقَيْدَ بَعْضِ بَأْرَجْلِ الْأَمَمِ
كَالْعَهْدِ بَيْنَ الشَّاةِ وَ الرَّئْبِ
مُتَوَدِّدًا حَمَلًا مِنَ الْإِحْمَامِ؟

2- الشعر الاجتماعي عند الرصافي:

بما أن معروف الرصافي كان ابن بيئته فلا بد أن يتكلم عن الشعب و عن التفاوت الطبقي بين المجتمع، فصرخ بقصائده راجيا التوقف عن هذا الظلم و العنصرية فيقول عن المجتمع الشرقي:

أَقُولُ لِهَذَا الشَّرْقِ قَوْلٌ مُؤَنِبٌ
وَ إِنْ كَانَ قَوْلِي مُسْخِطَ السُّفَهَاءِ

أَلَا إِنَّ دَاءَ الشَّرْقِ فِي كُبْرَائِهِ فَبَعْدَا لَهُمْ فِي الشَّرْقِ مِنْ كُبْرَاءِ
وَأَفْبَحُ جَهْلٌ فِي بَنِي الشَّرْقِ أَنَّهُمْ يُسَمَّوْنَ أَهْلَ الْجَهْلِ بِالْعُلَمَاءِ
وَأَكْبَرُ مَظْلُومٍ هُوَ الْعِلْمُ عِنْدَهُمْ فَقَدْ يَدَّعِيهِ أَجْهَلُ الْجَاهِلِينَ¹

و من المواضيع التي تكلم فيها عن الإنسان هي الطفل اليتيم، من بين نماذجه الشعرية عن الواقع الاجتماعي قصيدة " أم اليتيم " و قصيدة " الأرملة المرضع " و قصيدة " المطلقة " و قصيدة " سجن بغداد " يقول عن ذلك الطفل اليتيم في العيد:

وَقَفْتُ أُجِيلُ الطَّرْفَ فِيهِمْ قَرَأَنِي هُنَاكَ صَبِي بَيْنَهُمْ مُتْرَعِرُ²
عَلَيْهِ دَرِيسٌ يَعْصِرُ الْيَتِمَ رَدْنَهُ وَ فِي عَيْنَيْهِ بَرْقُ الْفَطَانَةِ يَلْمَعُ
يَرُدُّ ابْتِسَامَ الْحَاضِرِينَ بِحَسْرَةٍ تَكَادُ لَهَا أَحْشَاؤُهُ تَتَقَطَّعُ
وَ يُرْسِلُ مِنْ عَيْنَيْهِ نَظْرَةَ مُجْهَشٍ وَ مَا هُوَ بِالْبَاكِي وَ لَا الْعَيْنُ تَدْمَعُ

كما اهتم ببعض القضايا التي انتشرت في عصره كقضية الحجاب و ضرورة تعليم المرأة، فيقول في ذلك:

وَ لَمْ أَرَ لِخَلَائِقٍ مِنْ مَحَلٍّ يُهَذِّبُهَا كَحُضْنِ الْأُمّهَاتِ³
وَ أَخْلَاقِ الْوَالِدِ تُقَاسُ حَسَنًا بِأَخْلَاقِ النِّسَاءِ الْوَالِدَاتِ

و أيضا:

هَلْ يَعْلَمُ الشَّرْقِيُّ أَنَّ حَيَاتِهِ تَعْلُو إِذَا رَبِّي الْبَنَاتِ وَ هَذَّبَا⁴

¹ديوان الرصافي / ج 1 / ص 212.

²مدارس الشعر العربي في العصر الحديث / د.صلاح الدين محمد عبد التواب/ دار الكتاب الحديث/ القاهرة/2005/ ص 133.

³المرجع نفسه / ص 133.

⁴المرجع نفسه / ص 134.

شَرَفُ الْمَلِيحَةِ أَنْ تَكُونَ أَدْبِيَّةً وَ حِجَابُهَا فِي النَّاسِ أَنْ تَتَأَدَّبَا

3- الوصف عند الروصافي:

يعد الوصف من الأغراض الأصيلة التي لم يستطع الشعراء المحافظين الاستغناء عنها كذلك هو الحال عند معروف الرصافي فأغنى قصائده كثيرا به و عالج نوعين الوصف، يتمثل النوع الأول في وصف الطبيعة و الثاني في وصف المخترعات الحديثة. و السبيل لوصفه الطبيعة هو تأمله الواسع حولها، فوصف مظاهر المتعة و الجمال بعاطفة جياشة يقول:

و لَيْلٌ كَأَنَّ النَّبْرَ فِيهَا مَلِيحَةٌ أَغَارِلُهَا وَ النَّيِّرَاتُ قَرِيبٌ
سَرِيَتْ بِهِ وَ الْبَحْرُ رِهُوَ بِجَانِبِي وَ رَدَنَ النَّسِيمُ الْغَضُّ فِيهِ رَطِيبٌ
وَ رُحْتَ وَ أَهْلُ الْحَيِّ فِي قَبْضَةِ الْكَرَى وَ فِي اللَّيْلِ صَمْتُ بِالسُّكُونِ مَشُوبٌ
فَكُنْتُ كَأَنِّي أَسْمَعُ الصَّمْتَ سَارِيًّا لَهُ بَيْنَ أَحْشَاءِ الْفَضَاءِ دَبِيبٌ
وَ لَوْ أَنَّ صَمْتَ اللَّيْلِ لَمْ يَكْ مُطْرَبًا لِمَا هَزَّ أَعْطَافَ النَّسِيمِ هُبُوبًا¹

و يقول في وصف الطبيعة وقت الربيع:

مَاءٌ قَدْ أَنْعَكَسَ الضِّيَاءُ بِوَجْهِهِ وَ صَفَا فَلَاحَ كَأَنَّهُ بَلْـُـورٌ
وَ تَسَلَّسَلَتْ فِي الرُّوْضِ مِنْهُ جَدَاوِلُ بَيْنَ الزُّهُورِ كَأَنَّهُنَّ سَطْرُورٌ
مَاذَا أَقُولُ بِرَوْضَةٍ عَنِّ وَ صَفِيهَا يَعْجَا الْبَيَانَ وَ يَعْجِزُ التَّعْبِيرُ
غَنَى الرَّبِيعُ بِوَشِيهَا فَتَنَوَّعَتْ لِلْعَيْنِ أَنْوَارٌ بِهَا وَ زُهْرُورٌ

و أما وصف المخترعات الحديثة فأولى الرصافي اهتماما خاصا بها كتلك الوسائل الحضارية و المخترعات العلمية، فوصفها وصفا دقيقا يقول في وصفه للقاطرة

¹المرجع السابق / ص 134.

وَ قَاطِرَةٌ تَرْمِي الْفِضَا بِدُخَانِهَا تَسَابِقُ قُرْصُ الشَّمْسِ أَنْ يُدْرِكَ الْعَرْبَا
لَهَا مَنْخَرٌ يُبْدِي الشَّوَاظَ تَنْفُسًا وَ تَمْلَأُ صَدْرَ الْأَرْضِ فِي سَيْرِهَا رُغْبَا
تَمَشَّتْ بِنَا لَيْلًا تَجُرُّ وَرَائِهَا وَ جَوْفَ بِهِ صَارَ الْبُخَارُ لَهَا قَلْبَا
فُطُورًا كَعَصْفِ الرِّيحِ تَجْرِي شَدِيدَةً قِطَارًا كَصَفِّ الدَّوْحِ تَسْحَبُهُ سَحْبَا
طَوَتْ بِالْمَسِيرِ الْأَرْضَ طَيًّا كَأَنَّهَا وَ طَوْرًا رِخَاءً كَالنَّسِيمِ إِذَا هَبَا¹

يربط الرصافي في هذا اللون بين الوصف المادي و المعنوي، كما يمزج بين التصوير الحسي و المعنوي، تترجم المشاعر الإنسانية و من أمثلة هذا النوع قصيدة الأرملة المرضع يقول فيها:

لَقَيْتُهَا لَيْتَنِي مَا كُنْتَ أَفَاهَا وَ قَدْ أَثْقَلَ الْإِمْلَاقَ مَمْشَاهَا
بَكَتْ مِنَ الْفَقْرِ فَأَحْمَرَّتْ مَدَامِعُهَا وَ أَصْفُو كَالْوَرْسِ مِنْ جُوعِ مَحْيَاهَا
الْمَوْتُ أَفْجَعَهَا وَ الْفَقْرُ أَوْجَعَهَا وَ الْهَمُّ أَنْجَلُهَا وَ الْغَمُّ أَضْنَاهَا

4- الشعر الإسلامي:

كان لهذا النوع من الشعر نصيب عند الرصافي متجها على خطى الشعراء المحافظين، يقول في قصيدة له عن الإسلام:

يَقُولُونَ فِي الْإِسْلَامِ ظُلْمًا بِأَنَّهُ يَصُدُّ ذَوِيهِ عَنِ طَرِيقِ التَّقَدُّمِ
فَإِنْ كَانَ ذَا حَقًّا فَكَيْفَ تَقَدَّمَتْ أَوَائِلُهُ فِي عَهْدِهَا الْمُتَقَدِّمِ
وَ إِنْ كَانَ ذَنْبُ الْمُسْلِمِ الْيَوْمَ جَهْلُهُ فَمَاذَا عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ جَهْلِ مُسْلِمٍ؟
هَلْ الْعِلْمُ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا فَرِيضَةٌ وَ هَلْ أُمَّةٌ سَادَتْ بِغَيْرِ التَّعَلُّمِ؟
لَقَدْ أَيْقَظَ الْإِسْلَامُ لِلْمَجْدِ وَ الْعُلَا بَصَائِرُ أَقْوَامٍ عَنِ الْمَجْدِ نَوْمِ²

¹المرجع نفسه / ص 135.

²المرجع السابق / ص 136.

*الخصائص العامة في شعر الرصافي:

- أ- وضوح شخصيته و بروزها خاصة في شعره السياسي و الاجتماعي.
- ب-قوة العاطفة، فمعظم قصائده مفعمة بالعواطف خاصة في الشعر الاجتماعي و ذلك راجع للمواضيع التي عالجه، فطغى عنصر الألم فيها.
- ج- جزالة العبارات و الصور و الرقة و السهولة في الأسلوب.
- د- الاهتمام بالمعاني و الابتعاد عن الزخرف اللفظي.
- هـ-يمكن تصنيف الشعر عنده إلى مرحلتين الأولى و هي مرحلة محاكاته للشعراء القدامى، و هنا المحاكاة كانت من ناحية المعاني و المرحلة الثانية شملت التجديد.
- و- شكل القصيدة عمودي التزم فيها على بناء القصيدة بهذا الشكل لأنه شاعر محافظ، تجديده شمل المعاني و ليس الشكل فحرص على وحدة الوزن و القافية، كما فعل الأقدمين و التزم بوحدة الموضوع في قصائده و استعمل الفخر أحيانا في عدة قصائد كقصيدة " في المعهد العلمي" و " في القطار".
- و- سمي معروف الرصافي بشاعر العراق و هو من الذين مثلوا المدرسة الكلاسيكية ، فحرص على سلامة اللغة و على الوزن و على الألفاظ و على الصياغة، و تعتبر هذه المحافظة نوع من الأصالة و لكن لم ينحرف عن سابقه فجدد هو الآخر في موضوعات شتى شملت الشعر السياسي و الاجتماعي معبرا عن آلام وطنه و شعبه¹.

*الخصائص العامة لشعر المحافظين :

- كان للشعراء المحافظين أثر كبير في تاريخ الشعر العربي فقد نقلوه من حالة الجمود و التخلف إلى التصرف و الجودة و أول ممن يعود لهم الفضل بكثرة في ذلك هو الشاعر الكبير محمود سامي البارودي. فقد قضاوا على تلك الركافة و الهشاشة التي كانت تصيب

¹ينظر في دراسات الأدب العربي الحديث و مدارسه / د.محمد عبد المنعم خفاجي / ص 164.

الشعر و محوها و بعثوا فيها حسا جديدا أعطاه رونقا و جلاله متوقفين على عدة عوامل سياسية و اجتماعية و ثقافية¹.

- أكثر ما يميز الشعراء المحافظين هو محافظتهم على النهج القديم المتمثل في الشكل التقليدي للقصيدة القديمة، فلم يخرجوا عن طور الأقدمين و هذا ما بين أصالتهم فاستعملوا المدح و الوصف و الغزل و الرثاء و لم يكونوا مغايرين.

- ولعل السبب في هذا راجع إلى انتماء هؤلاء الشعراء إلى لجامعة الإسلامية التي مجدت التراث و آمنت به، كانت مواجهة للثقافة الغربية المتسلطة فحافظوا على الشخصية العربية و الإسلامية و مختلف قيم و مبادئ المسلمين مع إضافة أفكار جديدة ليعطوا للشعر مناهج جديدة فأوفوا بذلك و جاءوا بنماذج جديدة و أدخلوا ألوانا متعددة على الشعر العربي كالقصة على لسان الحيوان و الطير لأحمد شوقي فحظي بمكانة راقية².

- كما أضافوا سمات جديدة كالتعبير المباشر و الابتعاد عن التعقيد و التصنع، فكانت أفكارهم ناتجة عن أفكار فلسفية و بالتالي كانوا أقرب من شعراء الطبع و الصنعة.

- فإذا كانوا الشعراء المحافظين قد جددوا في موضوعاتهم إلا أنهم مالوا إلى التقليد بكثرة و جعلوه هو الأصل و كانوا مقلدين أكثر ممن كانوا مجددين، فحافظوا على النهج القديم إلا أن جاء جيل جديد سمي بجيل المجددين و كانوا قد اتبعوا مذهب جديد في الشعر العربي الحديث³.

¹ ينظر في تطور الأدب الحديث في مصر / د. أحمد هيكل / ص 136.

² ينظر في التيارات الجديدة في الشعر العربي الحديث في مصر / د. عبد اللطيف خليف / ص 168.

³ المرجع نفسه / ص 169.

الفصل الرابع :

مدرسة الشعراء المجددين

مدرسة الشعراء المجددين هي مدرسة جديدة، تأتي بعد مدرسة البارودي قادها كل من عبد الرحمن شكري، إبراهيم المازني و عباس محمود العقاد.

كان لهؤلاء الثلاث دور كبير في نشر حركة التجديد في الشعر خلال العصر الحديث، و سمو مدرستهم بمدرسة الديوان نسبة إلى الكتاب النقدي " الديوان " من تأليف المازني و العقاد موضحان فيه مواطن التجديد و ناقلين فيه لأحمد شوقي و حافظ و المنفلوطي، كان شكري هو الداعي لهذه الحركة فغيروا و جددوا في عدة نقاط أهمها نظرية عمود الشعر القديمة مما أحدث ضجة في الأوساط الأدبية.

و حسب الكاتب فالثلاثة كانوا قد استمدوا أدبهم من الثقافة العربية التي كانت مصدر إلهامهم، و مع اتساع تطلعاتهم و دراستهم للأدب الإنجليزي زاد تأثرهم بالثقافة الغربية فأخذوا يكتبون في معاني و صور غريبة، و يدعون إلى الأصالة و وحدوا القصيدة و تميزت عاطفتهم بالصدق و استلامهم بالطبيعة و تناولهم لقضايا إنسانية و وقفوا ضد التقليد و التكلف.

ذكر الكاتب رأي العقاد في كتابه " شعراء مصر و بيئاتهم في الجيل الماضي " و الذي كان عضو من شعراء مدرسة الديوان بأن ثقافتهم كانت مرتبطة و متأثرة بكل الثقافات العالمية، بواسطة الأدب الإنجليزي. ذكرا أن مدرسة الديوان هي أول مدرسة كانت ذات حركة

تجديدية في الشعر الحديث مستدلا في ذلك بأعمال خليل مطران في هذه الفترة، حيث أن مطران كان مختلف عنهم لأنه غبر عن الشعر الموضوعي بينما شعراء مدرسة الديوان دافعوا عن الشعر الذاتي.

و على حسب الكاتب فإن أهم المذاهب التي برزت في شعر الشعراء الثلاث هو المذهب الوجداني متخذين منه جوهر الشعر الجديد، حيث غلب في شعر العقاد الطابع الفكري و التأملية بينما المازني فلاحظنا في شعره بروز العاطفة و الخيال، أما شكري فاتخذ من الرومانسية مصدرا لشعره و أهم بيت يتبين فيه المذهب الوجداني هو¹:

أَلَا يَا طَائِرُ الْفِرْدَوْ سِ إِنَّ الشَّعْرَ وَجْدَانَ

¹ ينظر في الأدب العربي الحديث و مدارسه / د. محمد عبد لمنعم الخفاجي / ج 2 / ص 9.

المبحث الأول: عبد الرحمن شكري

ولد سنة 1886م، يعد من رواد الشعر العربي الحديث تعلم في المدارس المدنية، تخرج من مدرسة المعلمين سنة 1909م، بعث إلى إنجلترا و التحق بعدة مناصب بوزارة المعارف ، و توفي سنة 1958م¹.

كان شكري متأثر بالأدب الإنجليزي و متقن للغتهم مما أثر في شاعريته كثيرا فلم يحبذ أ، يبقى الشعر على حاله كما فعل شوقي و أمثاله، و إنما أعطوا للشعر مجال للتجديد و التطور، فكانت بدايات محاولته أن يحرر القصيدة من موضوعها القديم بطابع عقلي و تأملي، و لم يتوقف عند ذلك فقد غير الشكل أيضا عكس ما فعل مطران عندما تمسك بشكل القصيدة القديمة. كما نوع شكري في الوزن و القافية و نظم بما يسمى بالقوافي المزدوجة و هي تغير القافية في كل بيتين.

أعجب كذلك الشعر المرسل عند الغربيين فكتب فيه كذلك، و يرى أن القصيدة فرد كامل و أن قيمة البيت تكمن في صلته بين المعنى و موضوع القصيدة و ما يميزها هي العاطفة و التفكير².

كان شعر شكري خالي من تحبير اللفظ و تجويد العبارة، يقول في ذلك: "لقد كنت في أول الأمر أحسب أن الأدب حلية لقومه، و أن لأدب زينة، فكنت أقضي الأيام في تصيد الألفاظ و اختلاس الأساليب اللفظية، و لكنني ضجرت من هذه المنزلة الحقيرة و قلت إن كان الأدب في تصيد الألفاظ فلا خير في الأدب ثم فطنت بعد ذلك إلى الحياة و أساليبها و إلى الروح و عواطفها، و علمت أن الشاعر هو الذي يعبر عن أساليب الحياة و عواطف الناس"¹.

¹ ينظر في حركات التجديد في الشعر الحديث / عبد المنعم خفاجي / دار الوفاء / ط 1 / 2006 / ص 60.

² ينظر في قضايا النقد الأدبي الحديث / د.محمد السعدي فرهود / ص 103-104 / و ينظر أيضا في مقدم ديوانه الخامس (الخطرات) 1960 / ص 360.

أما العاطفة فيقول: " و الشعر ما أشعرك و جعلك تحس عواطف النفس إحساسا شديدا، لا ما كان لغزا أو خيالا من خيالات معاقري الحشيش، فالمعاني الشعرية هي خواطر المرء و آراؤه و تجاربه و أحوال نفسه و عبارات عواطفه"².

و لقد اختار الكاتب عبد التواب نماذج من شعر شكري أهمها قصيدته "إلى المجهول" و هي قصيدة سار فيها شكري على نمط القصيدة القديمة و لكنه غير في الصياغة فيقول:

يَحُوطَنِي مِنْكَ بَحْرَ لَسْتُ أَعْرِفُهُ وَ مُهْمُهُ لَسْتُ أَدْرِي مَا أَقَاصِيهِ

أَقْضَى حَيَاتِي بِنَفْسٍ لَسْتُ أَعْرِفُهَا وَ حَوْلِي الْكَوْنُ لَمْ تُدْرِكْ مَجَالِيهِ

يَا لَيْتَ لِي نَظْرَةَ لِغَيْبِ تُسْعِدُنِي لَعَلَّ فِيهِ ضِيَاءُ الْحَقِّ يُبْدِيهِ

وَ لِيَتَلِي خُطْوَةَ تَدْحَوَ مَجَاهِلُهُ وَ تَكْشِفُ السَّتْرَ عَن خَافِي مَسَاعِيهِ

كَأَنَّ رُوحِي عُودَ أَنْتَ تَحْكُمُهُ فَابْسَطْ يَدَيْكَ وَ أَطْلِقْ مِنْ أَغَانِيهِ

وَ أَكْبِرُ الظَّنَّ أَنِّي هَالِكٌ أَبَدًا شَوْقًا إِلَيْكَ وَ قَلْبِي فِيهِ

مَا فِيهِ مِنْ حَسْرَةٍ وَ إِبَاءٍ لَسْتُ أَمْلِكُهُ يَا بِي لِي الْعَيْشُ لَمْ تُدْرِكْ مَعَانِيَهُ

وَ أَنْتَ فِي الْكَوْنِ مِنْ قَاصٍ وَ مُقْتَرَبٌ قَدْ اسْتَوَى فِيكَ قَاصِيهِ وَ دَانِيهِ

كَأَنَّني مِنْكَ فِي نَابٍ لِمُقْتَرَسٍ الْمَرءِ يَسْعَى وَ لُغْزُ الْعَيْشِ يُدْمِيهِ

¹ الاعتراف / عبد الرحمن شكري / ص 31.

² ديوان شكري / ص 360-367.

يرى الكاتب أن موضوع القصيدة جديد تبدو عليها الوحدة التامة، برزت فيها النزعة العقلية قبل الخيال، لم يميل إلى التشبيهات و الاستعارات مثل القدامى بل ابتعد عنه و مال إلى العقل الذي يهتم بالحقائق. كما التزم فيها بالوزن و القافية و شعره قريب في هذه القصيدة من النثر جاعلا منه أداة للعقل و من الشعر أداة الخيال و الشعور¹.

و اختار كذلك نموذج آخر لشكري من الشعر المرسل قصيدة " كلمات العواطف" التي لم يلتزم فيها بالقافية يقول:

أَرَى الدُّنْيَا تَضِيقُ بِكُلِّ حُرٍّ	فَتَأَلِّفُهُ كَمَا لَفَظَ البُّصَاقُ
أَرَى خَدَعًا تُقَادُ بِهَا العَوَانِي	و فِي أعْقَابِهَا الذُّلُّ الكُمَّيْنِ
أَرَى التَّكْلِى تَكَادُ تَسِيلُ دَمْعًا	و فِي أَحْسَائِهَا النَّارَ الأَكُولَ
هُوَ اجِسُّ تُعْتَرِينِي لَسْتُ أَدْرِي	أَقْتَلَهَا و أَفْنَعُ بِالجَهَّالَةِ
أُمُّ التَّنَسَالِ خَيْرٌ مِنْ سُكُوتِ	و إِنَّ الرَّأْيَ يُنْضِجُهُ الزَّمَانُ

أيضا قصيدته " حلم البعث"، كتب لقصيدة ساخرا من ردائل الناس، و اعتبرها البعض فكرة جريئة لشكري يقول:

مَرَّتْ عَلَي فُرُونٍ لَسْتُ أَحْفَظُهَا	عَدَا كَأَنَّ مَرَّ بِي الأَبَادَ وَ القَدَمِ
حَتَّى بَعَثْتُ عَلَى نَفْخِ المَلَائِكِ فِي	أَبْوَابِهِمْ وَ تُنَادَتْ تِلْكَمُ الرَّمَمِ
وَ قَامَ حَوْلِي مِنَ الأَمْوَاتِ زَعْنَفَةٌ	هُوَ جَاءُ كَالسَّيْلِ جَمَ لَجَهُ عَرِمِ
فَذَاكَ يَبْحَثُ عَن عَيْنٍ لَهُ فَقَدْتُ	وَ تِلْكَ تَعُوزُهَا الأَصْدَاعُ وَ اللَّمَمِ
وَ ذَاكَ يَمْشِي عَلَى رَجُلٍ بِلا قَدَمِ	وَ ذَاكَ غَضْبَانٌ لآ سَاقَ وَ لآ قَدَمِ

¹ ينظر في مدارس الشعر العربي في العصر الحديث / د.صلاح الدين محمد عبد التواب / دار الكتاب الحديث / القاهرة / 2005 / ص 147.

و رَبِّ غَاصِبِ رَأْسٍ لَيْسَ صَاحِبُهُ وَ صَاحِبِ الرَّأْسِ يَبْكِيهِ وَ يَخْتَصِمُ
جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّحْمِ تَعْرِضُوهُ لِيَلْبَسَ اللَّحْمَ مِنْ أَضْلَاعِنَا الْوَضَمَّ
رَقَدَتْ مُسْتَشْعِرًا نَوْمًا لِأَوْهَمِهِمْ أَنِّي عَنِ الْبَعْثِ بِي نَوْمٌ وَبِي صُمَمٌ
فَأَعْجَلُونِي وَ قَالُوا قُمْ فَلَا كَسَلٌ يَنْجَى مِنَ الْبَعْثِ إِنَّ اللَّهَ مَحْتَكُمُ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ لَعْنٍ وَ مِنْ عَبَثٍ مِنْ جِنَايَةِ مَا يَأْتِي بِهِ الْكَلِمُ¹

القصيدة مفعمة بالإحساس و التأملات و التصورات.

كانت هذه الخطوة التي انتهجها الشعراء الثلاث أهمهم شكري بمثابة ثورة على الشعر القديم فكانت دعوته إلى التجديد بارزة في تاريخ الشعر العربي و من بين الانتقادات التي وجهها شكري وصفه لأحدهم بالصرصور²، و وصف نقدهم بالنقد القذر في قوله:

يَا أَنَّهُا أَلْسَانِي الْمَغْرُورُ يَشْتَمُنِي أَرْفَقُ بِنَفْسِكَ لَيْسَ الشَّتْمُ يُؤْذِينِي
أَبْعُدُ شَدَوِي بِالْآيَاتِ يَا عَجَبًا وَ بَعْدَ مِسْعَايِ فِي الْغَرِّ الْمِيَامِينَ
يُتَاحُ لِي مِنْكَ صُرُصُورٌ يُنَاوِنِي بِالرَّجْسِ وَ النَّتْنِ يَا صُرُصُورُ تَرْمِينِي

كما وجه المازني كذلك نقدا شديدا لشكري في كتاب الديوان يقول: " و لقد سبق لنا أن نبهنا شكري إلى ما في شعره من دلائل الاضطراب في جهازه العصبي و أشرنا عليه بالانصراف عن كل تأليف أو نظم ليفوز بالراحة اللازمة له أو لا، و لأن جهوده عقيمة، و تعبته ضائع ثانيا " ³.

أثار هذا النقد غضب لدى شكري و اتهم المازني بالسراقات الشعرية وتبادلا النقد في عدة مقالات و جرائد كجريدة النظام و عكاظ، و تصالح بينهما الحال بعدما أصبح نقدهما

¹ديوان عبد الرحمن شكري / ج 3 / ص 31-32.

²ينظر في التيارات الجديدة في الشعر العربي الحديث في مصر / د. عبد اللطيف خليف.

³الديوان / للمازني و العقاد / ص 62.

لبعضهما البعض نقد بناء خاصة عندما قدم العقاد الجزء الثاني من الديوان فكثرت الآراء النقدية حوله، فتأثر أبو شادي بشكري كثيرا.

وكان طبعا للعقاد رأي خاص حول شكري حيث قال: " و لا أذكر أني حدثته عن كتاب قرأته إلا وجدت عنده علما به و إحاطة بخير ما فيه، و كان يحدثنا أحيانا عن كتب لم نقرأها و لم نلتفت إليها، و لاسيما كتب القصة و التاريخ"¹.

كما ظهروا عدة أدباء آخرون أثنوا شكرهم و تقديرهم لشكري أمثال الشاعر مختار الوكيل الذي قال عنه: " أما شاعريته فتحتضن الحياة جميعها و تصور الوجود بأسره، لأنه شاعر عبقرى لا يقف دون التعبير عن شعوره حيال الكون كله"².

المبحث الثاني: إبراهيم عبد القادر المازني

ولد إبراهيم عبد القادر المازني سنة 1890م بالقاهرة، كان أبوه محامي و خاله من رجال الدين، توفي أبوه و تركه طفل صغير، التحق بمدرسة الطب لكنه لم يتمكن من الاستمرار فيها نظرا لحساسيته فتغير التحاقه بمدرسة المعلمين سنة 1909م فاشتغل بالتدريس، ثم انتقل إلى مجال الصحافة حتى وفاته سنة 1949م³.

كانت حياة صعبة نوعا ما فقد عاش العديد من المتاعب و العنصرية لأنه كان القامة، و لاسيما من قبل زوجته التي كانت سبب في سقوطه مما سبب له العرج طول حياته، تزوج بعدها لأن زوجته الأولى كانت قد ماتت و أنجب من الثانية أربعة أولاد، و كانت نعم

¹ عبد الرحمن شكري في الميزان من مقال للعقاد في الهلال / فبراير / 1959 / ص 23.

² رواد الشعر الحديث في مصر / مختار الوكيل / ص 46.

³ ينظر في مدخل لدراسة الشعر العربي / إبراهيم الخليل / دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة / ط1 / 2003 / ص 142.

الزوجة لكنها ماتت و ظل طوال حياته حزينا لأجل فقدانها ، حيث كان متأثرا جدا بالأدب الذي يعبر عن آلام البشر و أحزانهم .

*شعر المازني :

قام المازني مع العقاد و شكري بعدة محاولات في أوائل القرن العشرين من أجل التجديد و خاصة لتأثرهم بالثقافة الغربية، و من بين هذه المحاولات هي تغيير الموضوع و الابتعاد كل البعد عن المدح و الأغراض القديمة، حيث لابد أن يكون الشعر مفعما بإحساس الشاعر. و دعوا إلى وحدة القصيدة مع إمكانية التجديد في الوزن و القوافي، حيث أكد على ضرورة التجديد في الشعر و قد اختار الكاتب كذلك نماذج للمازني أهمها قصيدة سماها " ليلة و صباح " يقول فيها:

خَنَمَ الهمَّ عَلَّ صَدَرَ الْمُشَوِّقُ

يَا صَدِيقِي

و بَدَأَتْ فِي لُجَّةِ اللَّيْلِ النُّجُومِ

و مَضَى يَرْكُضُ مَقْرُورُ النَّسِيمِ

وَتَنَّى الزَّهْرُ عَلَى النُّورِ الْغِطَاءِ

عَمُّ مَسَاءً

إلى أن يقول:

طَلَّتْ لَا لَيْلَ فَهَلْ ضَلَّ الصَّبَاحُ

فِي الْبِطَاحِ

أَيُّهَا الْمَنْفَى مِنْ حُلْمِ السَّمَاءِ

لَمْ يَنْتَهْ صُبْحٌ وَ لَا طَالَ مَسَاءً

فَاغْتَمَضَ لَا تَمَلُّ الدُّنْيَا عُوَاءً

عَمُّ مَسَاءً

و قال أيضا :

وَمَا الشُّعْرُ إِلَّا صَرْخَةٌ طَالَ حَسْبُهَا يَرِنُ صَدَاهَا فِي القُلُوبِ الكَوَاتِمِ¹

و قد شرح الكاتب لنا القصيدة من خلال كتابه، حيث أن القافية واحدة و لم يغير فيها و هنا المازني كتب قصيدته بصورة قديمة على حسب ما وصفها الكاتب، و لم يحتفظ بالروي، و كان الحزن طاغي في القصيدة و الشكوى و الآلام تترد بين حين و آخر و استعمل عبارات تدل على اليأس أهمها "طال المساء" ، "الليل" و من هنا يستنتج الكاتب أن الشاعر كان قد أعلن ثورة نفسية على نفسه و أيضا من المختارات الشعرية له قصيدة بعنوان " الملل من الحياة " ²:

أَكَلَّمَا عِشْتُ يَوْمًا	أَحْسَسْتُ أَنِّي مِنْهُ
و كَلَّمَا خَلْتُ أَنِّي	وَجِدْتُ خَاصًا فَقَدْتُهُ
لَا أَعْرِفُ الأَمْنَ عُمْرِي	كَأَنِّي قَدْ رَزَنْتُهُ
مَا تَأْخُذُ العَيْنَ إِلَّا	مَا مَلَّنِي و مَلَلْتُهُ
كَأَنَّ عَيْنِي مُدَلُّو	لَهُ عَلَى مَا كَرِهْتُهُ
تَضِيئِي الشَّمْسُ لَكِنِ	لَأَجْتَلِي مَا أَجَمَّتَهُ
ثَوْبُ الحَيَاةِ يَفِيضُ	يَا لَيْتَنِي مَا لَبِسْتُهُ

إلا أن شعره كان أحيانا يزخر بجرعة أمل و هذا ما يدل على أنه لم يبلغ منه اليأس مبلغه فنجده يقول³:

يَا أُمَّ لَا تَجْزَعِي مِمَّا يُدَاهِمُنَا مَنِ الخُطُوبِ وَ لَا تَأْسِي لِمَا فَاتَنَا

¹القديم و الجديد في الشعر العربي الحديث / واصف أبو الشباب / دار النهضة العربية / 1988 / ص 120.

²ديوان المازني / ج 1 / ص 109.

³ديوان المازني / ج 2 / المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب / ط 1 / ص 213.

وَيُقَسِّمُ اللهُ أَرْزَاقًا وَ أَقْوَاتًا
وَأِنْ لِّلْأَيْسَرِ مَثَلُ الْعُسْرِ مِيقَاتًا

و هنا يستنتج الكاتب أن للمازني علاقة كبيرة بين مزاجه المتقلب وما يصدره من شعر، فما الشعر عنده إلا تعبير من العاطفة. و عنها يصور فيه أحاسيسه و الانطباعات التي تجول في ذهنه، إذا فمظهر التجديد عند المازني يكمن في صدق التجربة الشعورية و الإخلاص في المعنى حارصا علو وحدة الموضوع¹.

المبحث الثالث: محمود عباس العقاد

ولد العقاد سنة 1889م بمدينة أسوان، كان يحب المطالعة حتى أصبح ذهنه شبيه بالمكتبة كأنه موسوعة عربية، كان يدعو إلى الثقافة العصرية و التجديد و الثورة على كل ما هو قديم و عقيم.

عاش العقاد فترة مرضية أرهقته مما أقعدته في البيت لمدة طويلة، حاول الاستفادة من هذه العزلة فأوهد وقته للقراءة ، فجعلته فنان في البيان و جعلت تفكيره واسع أكثر و ذو إحاطة و دقة حتى وفاته سنة 1964م.

تأثر بالأدب الإنجليزي و مال إلى القصيدة الغنائية في موضوعها و بنائها و معانيها و أوزانها².

و بالنسبة للموضوع فاهتم بالطبيعة و الأخلاق و النفس، كان يعتمد على الوحدة الفنية و التنويع في القافية و الوزن مع عامل العقل. يصف الكاتب شعره بالرزانة و الجد فأفكار العقاد في شعره أفكار أصيلة صادقة الشعور و كأنه ينقل لنا مشاهد حقيقية من الحياة،

¹ينظر في أدب المازني / د.نعمات أحمد فؤاد / ص 155 و قضايا النقد الأدبي الحديث / د.محمد السعدي فرهود / ص 103.

²ينظر في معجم أعلام النقد العربي في القرن العشرين / شريبط أحمد شريبط / جامعة برج باجي مختار / عنابة / ص 198.

و من أهم النقاط التي ركز عليها العقاد في شعره كذلك هي عنوانة القصيدة فلا يجب كتابة أي دون عنوان.

محمود العقاد يعرف الشعر على أنه صناعة توليد العواطف بواسطة الكلام و الشاعر هو كل عارف بأساليب توليدها بهذه الوساطة، يستخدم فيها القوالب و الألفاظ¹.
اختار الكاتب عدة أبيات للعقاد الذي بلغت دواوينه عشرة من وصف للطبيعة و أناشيد الغرام، فكان صوته بارز في مجمل قصائده. يقول في وصفه للنهر قصيدة بعنوان " النهر النائم " :

تَمَهَّلْ يَا نَسِيمُ وَ لَا تَكْـدُرْ نُعَاسُ النَّهْرِ بِالْهَمْسِ الضَّعِيفِ
وَ قُرِّى يَا طُيُورُ عَلَى الْحَوَانِي وَ كَفَى يَا عُصُونَ عَنِ الْخَفِيفِ
لَعَلَّ النَّهْرَ يَنْطِقُ وَهُوَ غَافٌ بِسِرٍّ فِيهِ أَوْ حُلْمٌ لَطِيفٌ
وَ يُحْكِي طَيْفٌ هَاتِيكَ اللَّيَالِي لَيَالِي الْوَصْلِ فِي عَهْدِ الْخَرِيفِ

كان للعقاد ديوان رابع اسمه " عابر سبيل " و هو ديوان متميز لأنه حاول فيه أن يحول ما هو نثر إلى الشعر متأثرا بأدب خاص من الآداب الإنجليزية، متأثرا كذلك بالفكرة يقول في " عسكري المرور " :

مُتَحَكِّمٌ فِي الرَّاكِبِينَ وَ مَالِهِ أَبَدًا رُكُوبُهُ
لَهُمُ الْمَثُوبَةُ مِنْ بِنَا نَاكَ حِينَ تَأْمُرُ وَ الْعُقُوبَةُ
مَرَّمَا بِدَالِكَ فِي الطَّرِيقِ وَ رَضُّ عَلَى مُهْمَلِ شُعُوبِهِ
أَنَا ثَائِرٌ أَبَدًا وَ مَا فِي ثَوْرَتِي أَبَدًا صُعُوبَةُ
أَنَا رَاكِبٌ رَجُلِي فَلَا أَمْرَ عَلَى وَ لَا ضَرِيْبَةَ
وَ كَذَاكَ رَاكِبٌ رَأْسِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْعَجِيْبَةَ

¹الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث / أحمد حيدوش / ديوان المطبوعات الجزائرية / الجزائر / ص 79.

و شعر العقاد الوطني و السياسي متحرر جدا حيث كتب فيه لفترة ثم ابتعد عن ذلك¹، و من

أمثلة شعره الذي يحرص فيها الشعب على السلطة قصيدته أسماها "يوم المعاد":

مَا يَبْتَغِي الشَّعْبُ لَا يَدْفَعُهُ مُقْتَدِرٌ مِنْ الطُّغَاةِ وَ لَا يَمْنَعُهُ مُعْتَصِبٌ

فَاطْلُبْ نَصِيْبَكَ شَعْبُ النَّيْلِ وَ اسْمُ لَهُ وَ أَنْظِرْ بَعَيْنَيْكَ مَاذَا يَفْعَلُ الدَّابُّ

مَا بَيْنَ أَنْ تَطْلُبُوا الْمَجْدَ الْمُعَدَّ لَكُمْ وَ أَنْ تَنَالُوهُ إِلَّا الْعَزْمَ وَ الطَّلَبَ²

و له أيضا في الشعر الفلسفي قصائد و لو كان نادرا نجد هذا النوع في قصيدته "القمرء"

و "وحي الأربعين" يقول فيها :

كُلَّمَا أَشْرَقَ فِي اللَّيْلِ الْقَمَرُ وَ سَهَا النَّاسِ وَ لَانُوا بِالْحَجَرِ

خَلَّتْ أَرْوَاحًا تَدَاعَتْ لِلسَّمْرِ زُمْرًا تَهْمِسُ مِنْ حَوْلِ زُمْرِ

إِنَّ هَذَا الْحَسَنَ لَا يَمْضِي هَذَرٌ حَيْثُمَا أَسْفَرَ نُورٌ وَ انْتَشَرَ

وَ خَلَا فِي جَلْوَةِ اللَّيْلِ السَّهْرِ فَهَنَا لَا رَيْبَ حِسٌّ وَ بَصْرِ

شِيْمَةُ الْمَسْحُورِ يَقْفُو مِنْ سِحْرِ³

و كذلك قصيدته "أمننا الأرض":

أَسْأَلُ أَمَّنَّا الْأَرْضِ سُؤَالَ الطِّفْلِ لِالْأُمِّ

فَتَخْبِرُنِي بِمَا أَفْضَى إِلَى إِدْرَاكِهِ عِلْمِي

جَزَاهَا اللَّهُ مِنْ أَمٍّ إِذَا مَا أَنْجَبَتْ تَنُودَ

تُعَدِّي الْجِسْمَ بِالْجِسْمِ وَ تَأْكُلُ لَحْمَ مَا تَلِدُ

¹ ينظر في الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث / مصطفى عبد اللطيف السحرتي / القاهرة / 1948 / ص 171.

² ديوان العقاد / ج 4 / 1928 / ص 287.

³ ديوان وحي الأربعين / ص 97.

أَقَامُوا أَمْسٍ و أَنْصَرَفُوا فَلَيْسَ لِفَلِهِمْ شَمِيلٌ
فَأَيُّ نَفُوسٍ مِنْ سَلَفُوا وَ أَيُّنَ يَكُونُ مِنْ يَتْلُو

* * *

فَقَالَتْ : فِي مَلَامِحِكُمْ يُبَيِّنُ الْجُدَّ وَ الْخَلْفَ
فَجُوسُوا فِي جَوَانِحِكُمْ فَتَمَّ يَجُوسُ مِنْ سَلَفُوا

* * *

وَ أَيُّنَ عِظَامٍ مِنْ نَبَّهَا مِنْ الْمَاضِينَ فِي السَّيْرِ
فَقَالَتْ : قَدْ صُنِعَتْ بِهَا لَكُمْ حَلْوَى مِنْ التَّمْرِ¹

من هنا يريد الكاتب أن يوضح من خلال هذه النماذج التي اختارها أن الشعر و الفلسفة لهما علاقة كبيرة ببعضهما البعض، و كلاهما مكملا لبعض عند العقاد خصوصا و أنه كان رائد في الدعوة إلى الشعر الفلسفي، من خلال أعماله كمقدمة ديوان " بعد الأعاصير "، و مقالات كذلك أهمها " مطالعات في الكتب و الحياة " و " ساعات بين الكتب "، و لاسيما أهم شاعر تأثر به كان المتنبي لأنه هو الآخر كان شاعر فيلسوفا.

لم يقفل الكاتب هذا الفصل دون الإشارة إلى أهم المؤثرات التي ساعدت الشعراء الثلاث في تكوين هذه المدرسة، فمنذ ظهور كل من المازني و العقاد و شكري تغيرت القصيدة العربية شكلا و مضمونا فابتعدوا كل البعد عن ذلك الشعر الذي يقال في المناسبات و لجأوا إلى الشعر الإنساني المتعلق بالحقائق و الواقعية، و لم يتقيدوا لا بالوزن و لا بالقافية ذلك ما جعل شعرهم صادق نابع من العاطفة، و ما ميزهم عن سابقهم كأمثال أحمد شوقي الذي

¹ديوان العقاد / ص 148.

تأثر بالأدب الفرنسي هو أن هؤلاء الثلاث كان تأثرهم مغاير حيث تأثروا بالأدب الإنجليزي و قرؤوا للكثير من الإنجليزيين أمثال "بيرون" و "كيتس"، فكانوا يستلهمون الشعر من الطبيعة و مظاهرها الخلابه حيث أن الخيال عندهم أسمى من العقل مستعملين منه أداة للوصول إلى دقائق الحياة، و اهتموا كذلك بالقصيدة الغنائية التي لا بد أن تكون وحدتها عضوية، بالإضافة إلى تلك النزعة التشاؤمية نظرا لظروفهم المختلفة التي عاشوها من يتم وحرمان و قسوة الحياة فغلبت هذه النزعة على أدبهم¹. دون نسيان ما مرت به البلدان العربية من ظروف سياسية استعمارية فبرزت شخصية الشاعر معبرا عن حاله و حال وطنه.

¹ ينظر في التيارات الجديدة في الشعر العربي الحديث في مصر / عبد اللطيف خليف / ص 179-180.

الفصل الخامس :

جماعة أبوللو

تكونت مدرسة أبوللو على أيدي مجموعة من الشعراء سنة 1932م أهمهم أحمد زكي أبو شادي ، إبراهيم ناجي و أحمد محرم و علي طه. كان أدبهم يجمع بين العديد من الاتجاهات كالواقعية و الرمزية و الكلاسيكية، و هذا راجع لإطلاعاتهم الواسعة و كانت سبب تسمية المدرسة بهذا الاسم يعود إلى اسم رب الشعر عند الإغريق، كان أول اجتماع معقود لهذه الجماعة في دار كرامة بن هاني بالجيزة سنة 1932م. عين شوقي رئيسا لهم و لكن وافته المنية بعد أربعة أيام فقط فاستبدلوه بخليل مطران، و كان شعار المجموعة واقف على ثلاث نقاط هي:

-السمو بالشعر العربي و توجيه جهود الشعراء توجيهها شريفا.

-ترقية مستوى الشعراء ماديا و أدبيا و اجتماعيا و الدفاع عن كرامتهم، و منذ تأسيس هذه المجموعة تأسست معها مجلة باسمها " مجلة أبوللو " كانت تنشر أخبار المجموعة و أفكارها و مبتدئها، و تعتبر أول مجلة خصصت للشعر حيث قال أبو شادي في أول عدد لها : " نظرا للمنزلة الخاصة التي يحتلها الشعر بين فنون الأدب، و لما أصاب و أصاب رجاله من سوء الحال، بينما الشعر من أجل مظاهر الفن، و في تدهوره إساءة للروح القوية لم نتردد في أن نخصه بهذه

المجلة، التي هي الأولى من نوعها في العام العربي، كما لم نتوان في تأسيس هيئة مستقلة لخدمته هي جمعية " أبوللو "، حبا في إحلاله مكانته السامقة الرفيعة و تحقيقا للتآخي و التعاون المنشود بين الشعراء، و قد خلصت هذه المجلة من الحزبية و تفتحت أبوابها لكل نصير لمبادئها التعاونية الإصلاحية، و قد رأينا أن ننزه المجلة عن طنطنة الألقاب و الرتب حتى ما جرى العرف و بالتسامح فيه، حتى تظهر على مثال أرقى المجالات الأوروبية التي

من طرازها و حصنها ضد عوامل التحزب و الغرور، فلا غرض لها بعد هذا إلا خدمة خالصة من كل شائعة هذا هو عهد للشعر و الشعراء"¹.

كان الاتجاه الرومانسي هو الغالب عند شعراء أبوللو، حيث تناولوا الفكرة و الموضوع بسلامة و طلاقة مع احترام كافة المذاهب المتبقية بصفتها الأصيلة، فأخذوا ينظمون الشعر العمودي و الحر و المرسل كما كانوا يحترمون الاتجاه التقليدي و لم يخاصموه مثلما فعلوا شعراء الديوان، و كانت أهم دعواتهم متمثلة في:

1- الثورة على التقليد و الدعوة إلى الأصالة و العاطفة الصادقة مع تناول السليم للفكرة و المعنى.

2- سهولة التعبير و وضوح الفكرة و ذلك عن طرق التحرر من القوالب التقليدية و الصيغ المحذوفة.

3- الاهتمام بالعاطفة و الاتجاه إلى الشعر الغنائي العاطفي و التأمل الصوفي.

4- العناية بالوحدة العضوية للقصيدة².

¹مجلة أبوللو / العدد 1 / سبتمبر 1932 / ص 4-5.

²ينظر في الأدب الحديث و مدارسه / د.محمد عبد المنعم خفاجي / 72.

المبحث الأول: أحمد زكي أبو شادي

هو شاعر مصري ولد سنة 1892م بالقاهرة، تلقى تعليمه هناك ثم أكمل في إنجلترا، كتب أول ديوان اسمه " أنداد الفجر " سنة 1910م ثم عاد من إنجلترا سنة 1922م كطبيب يعمل عند الحكومة، و في سنة 1946م سافر نيويورك و عمل في هيئة الأمم المتحدة، ثم أستاذا للأدب العربي في آسيا و انتقل في آخر حياته إلى واشنطن أصدر هناك أهم و أضخم دواوينه " من السماء " و هو ديوان ضم ثلاث و عشرين ديوانا أشهرهم " الشفق الباكي " و ديوان " أشعة و ظلال " و طبعت له عدة كتب في القاهرة. توفي سنة 1955م بواشنطن¹.

ذكر الكاتب عدة عوامل كانت قد أثرت في شعر أبو شادي منها:

- 1- تلمذته على يد شوقي و حافظ اللذان كانا صديقان لوالده المحامي، فحضي بعناية خاصة و رفق اهتمام منهم فقدرا لهما هذا المجهود حق تقدير.
- 2- تأثره بشعر خليل مطران و شخصيته من خلال دعوته إلى التجديد في الأدب، حيث يقول أبو شادي في هذا الصدد: " إن أثر مطران في شعري هو أثر عميق، لأنه يرجع إلى طفولتي الأدبية، و يصاحبني في جميع أدوار حياتي، و إذا كان استقلالي الأدبي متجليا في أعمالي، فهو في الوقت ذاته يمثل الطراد الطبيعي للتعالم الفنية التي تشربتها نفسي الفنية من ذلك الأستاذ، فما نشوة الشعر المرسل، و لا الشعر الحر، و لا ما بلغناه من الحركة التحريرية للنظم، و لا ما تناولته من الموضوعات إلا الرق الطبيعي لدعوة مطران، و الشخصية الفنية الحرة هي أهم ما يحترمه مطران و هي روح شعري "².
- 3- التطلع على الأدب الإنجليزي خصوصا و أنه مكث بإنجلترا و تلقى تعليمه هناك.

¹ ينظر في الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث / مصطفى عبد اللطيف السحرتي / ص 176.

² أنداد الفجر لأبي شادي / الأدب العربي الحديث و مدارسه / ص 61.

4- تأثره بعدة مذاهب أهمها السريالية و الرمزية، و لم يقتصر على الكلاسيكية أو الرومانسية فقط.

5- البيئة المصرية التي كانت تتغنى بالشعر و الأدب خاصة في أوائل القرن العشرين.

6- كان شعر أبو شادي مميز بالنتاج المفرط مع تلك القيم الجمالية و الفكرية التي كان يضيفها إلى شعره، يقول معبرا عن ذلك:

أَنَا ابْنُ هَوَايِ ثُمَّ أَنَا ابْنُ فِكْرِيٍّ وَ لَسْتُ أَعِيشُ فِي هَذَا الزَّمَانِ
أَعِيشُ بِكُلِّ عَصْرِ عَبْقَرِيٍّ تَأَلَّقَ فِي الشُّعُورِ وَ فِي الْبَيَانِ¹

جمع أبو شادي بين العديد م تيارات الأدب، فتارة الوجداني و تارة الغزلي و تارة الصوفي الفلسفي مائلا إلى النزعة الاجتماعية و الإنسانية.

كان يمزج بين الصياغة الكلاسيكية و الصياغة المتحررة، و أهم نموذج لهذا قصيدته " الشريد " يقول فيها:

جُنَّ قَلْبِي فِي التِّيَاعِ الْمُضْطَرِّبِ وَ بَكَتْ نَفْسِي بِصَمْتِ الْمُنتَخَبِ
وَ تَوَلَّتْنِي مِنْ الْحَيْرَةِ مَالًا تَعْرِفُ الْإِيْمَانَ صُلْحًا أَوْ قِتَالًا
فَإِذَا بِي كِدْتُ لَا أَعْرِفُ نَفْسِي وَ كَأَنَّ الرَّزْءَ تَكْوِينِي وَ حَسِّي
وَ إِذَا الْإِيْمَانَ عَبَّءُ لِي جَدِيدٌ حِينَمَا الْإِيْمَانُ مَلِكٌ لِلْسَّعِيدِ
أَهْ مِنْ ضَيْقِ تَعَالَى فَوْقَ صَدْرِي دَأَفْنَا رُوحِي فَصَدْرِي مِثْلَ فَبْرِي
وَ كَأَنِّي وَ الْأَسَى يَغْلِبُ حَسِّي وَ ظَلَامُ الْهَجْرِ فِي مَرَأَى وَ لَمْسُ
كَشْرِيدٍ وَ الرُّعُودِ الْقَاصِفَةُ أَسْلَمَتْهُ لِحُنُونِ الْعَاصِفَةِ²

¹ديوان أطياف الربيع / ص 99.

²ديوان الشعلة / ص 18.

و كان أبو شادي يحب تلك الازدواجية في الشعر، فنجده في قصيدة " بور سعيد " يزاوج بين مشاهد الطبيعة و خواطره الوجدانية يقول فيها:

يَا سَاعَةً عِنْدَ الْغُرُوبِ كَأَنَّهَا
خَطَفَتْ مِنَ الْأَحْلَامِ وَالْأَجْيَالِ
مَا بَالَ هَذَا الشَّمْسُ تُرْسِلُ وَجَدَهَا
فَوْقَ الْأَلْهَبِ عَلَى الْمِيَاهِ خَيَالِي
مَا بَالَ هَذَا الْمَوْجُ يُخْفِقُ هَكَذَا
خَفَقَ الْحَيَاةُ تَوَثَّبَتْ لِزَوَالِ
مَا بَالَ هَذَا الْحَسَنُ يَبْعَثُ شَوْقَهُ
فَوْقَ الرِّمَالِ إِلَى نَهْيِ وَرِمَالِ
مَا بَالَ هَذَا الْجَوُّ أَشْبَعُ رَوْحَهُ
بِالْخَوْفِ وَالْأَلَامِ وَالْأَمَالِ¹

و ترك بصمته في الشعر الغزلي هو الآخر، تميز بالعاطفة الصادقة و ذلك التصوف و العفاف يقول في قصيدة " الفنان ":

أَمَّا أَنَا أَيُّهَا الْحُبُّ
سَلَامًا أَيُّهَا الْأَسْيُ
أَتَيْتُ إِلَيْكَ مُشْتَفِيًا
فِرَارًا مِنْ أَدَى النَّاسِ
حَنَانُكَ أَيُّهَا الدَّاعِي
فَأَنْتَ عَائِيكَ أَنْفَاسِي
فَرَرْتُ وَ حَوْلِي الدُّنْيَا
تَحَارِبُ كُلَّ إِحْسَاسِي²

و في الاتجاه الوطني و الاجتماعي قصيدته " حداد القطن " :

يَا شَعْبَ قُمْ وَ أَنْسُدْ حُقُوقَكَ فَالْخُنُوعُ هُوَ الْمَمَاتُ
تَشْكُو الْغَرِيبُ وَ عِلَّةُ الشَّكْوَى الزَّعَامَاتِ الْمَوَاتُ
قَدْ عَمَّتِ الْفَوْضَى وَ قَدْ دَبَّ الْفَسَادُ بِكُلِّ شَيْءٍ
فَإِذَا سَكَنتَ فَلَنْ تُعَدَّ وَ لَنْ يَفِي لَكَ أَيَّ حَقٍّ
مَا دُمْتَ تَقْبَلُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الضَّحَايَا كَالْعَبِيدِ

¹ديوان أطيايف الربيع / ص 111.

²المرجع نفسه / ص 29.

سَيْسُومَكُ الْقَوْمُ وَالْأَسْيَادُ أَلْوَانُ الْقِيَامِ ———
يَا شَعْبَ كَيْفَ تُطَالِبُ الْغُرَبَاءَ بِالْبِرِّ السَّخِيِّ
و تُطِيقُ مَلَكَكَ فِي مُحَابَاةٍ وَ فِي نَهَبٍ وَ عَى
هَيْهَاتَ يُعْطِي الْحَقَّ مِنْ أَلْفِ التَّهَائُونِ فِي الْحُقُوقِ
هَذَا هُوَ الْعَدْلُ الصَّحِيحُ وَ غَيْرُهُ عَيْنُ الْمَوْرَقِ
أَنْهَضُ وَ حَاكِمُ بَائِعِيكَ إِلَى الْهَوَى وَ إِلَى الْفَسَادِ
أَوْ مِتْ دَلِيلًا لَا يُقَاسُ بِذَلَّةٍ حَتَّى الْجَمَادِ¹

ظل أبو شادي يحارب الأنانية و يؤمن بالفكرة، و يحرص على الدقة في المعنى و صدق العاطفة، فاتسم شعره يقول أبو شادي: " و إذا قدرنا ألوان هذا الشعر المتجرد أو المرسل أو الحر أو الرمزي أو السريالي و نحوها، فليس معنى ذلك أننا نبخس الضروب الأخرى من الشعر حقها أو ندعو إلى إغفالها كما يدعو إلى ذلك بعض الأدباء الذين لا يقدرون أن ثروة أية لغة هي بمجموع آدابها، و أن الخير كل الخير في تنوع ضروبها لا في حصرها، و مذهب الحصر مضاد للحرية، في حين أن الحرية هي صديقة الآداب و الفنون، بل و المعارف عامة، فالإملاء على الشعراء و التحكم فيهم أو لا قتل لمواهبهم ثم قتل للشعر و إمكاناته، ثم إفقار للغو و آدابها. و هذا ما يجب على العالم العربي أن يحتذيه حتى تصير حرية الشعور و الفكر و النظر في النبراس الوهاج للتقدم المنشود"².

¹الرجع نفسه / ص 33.

²قضايا الشعر المعاصر / د.زكي أبو شادي / ص 928.

المبحث الثاني: إبراهيم ناجي

هو شاعر من عائلة محبة للعلم و المعرفة ولد سنة 1869م، ترعرع إبراهيم ناجي في أسرى أدبية و خاصة أبيه فكان كلما يقرأ ديوان سرعان ما يشرحه لأولاده، فتعلم ابنه على يده مناهج البلاغة و مبادئ الأدب مما جعله عامل مهم في نشأته و تكوينه، و كان مطلا على مختلف الآداب و متقنا للغتهم كالإنجليزية و الفرنسية و الألمانية ، مما شجع موهبته و مسيرته¹.

ثم درس الطب و تفوق فيه و كان يجمع بين الطب و الطب، يقول: " أخذت أدرس الطب على طريقة فنية، فقد كنت أبتدع لرفاقي الصور و اخترع لهم من فنون الكتابة ما يعينهم على الحفظ، و ظلت كذلك إلى الساعة التي أكتب فيها هذا الطب كأنه فن و أكتب الأدب كأنه علم"².

توفي إبراهيم ناجي سنة 1953م ، تاركا أعمال مهمة بصفته عضو من أعضاء جماعة أبوللو، كاتبا عن الكثير من المقالات و أهم القصائد أشهرها قصيدة " العودة ". و في تناول الكاتب لشعر ناجي اختار أهم ديوان و هو في حد ذاته يضم أضخم ثلاث دواوين في الشعر هي " وراء الغمام " ، " ليالي القهر " ، " الطائر الجريح " ، تميز بقوة الموسيقى و حسن التصوير. يقول عنه السحرتي: " إن افتتان ناجي الموسيقى باغ الذروة، و قد تأثر بموسيقاه كثير من شعراء الشرق، فإيقاعات ناجي الموسيقية تساير معانيه و تتلون بانفعالاته و عواطفه، رقيقة حنون عند هدوء الانفعال، و ثائرة عالية في ثورة نفسه و غضبتها"³.

¹ ينظر في ناجي: حياته و شعره / صالح جودت / ص 23.

² مجلة ثقافة الأطباء / العدد رقم 9 / يوليو / 1951.

³ شعراء مجددون / مصطفى السحرتي / ص 98.

حرص ناجي في شعره على استعمال الأوزان الحقيقية و التجديد في القافية و ميله إلى الرباعيات بعد تأثره برباعية الخيام، أما من ناحية المضمون فنار في شعره الجانب العاطفي و اتجه إلى الطبيعة مستعملا تجارب إنسانية محاربا الصنعة و التكلف، فأسلوبه في الشعر سهل مرن¹.

و كان شعره ناتج عن حياته الخاصة و لاسيما علاقته بالمجتمع و الشعب خصوصا أصدقائه فنجده أحيانا يحكي عن أصدقائه، و أحيانا عن حياته و ما تلقاه من ضربات مؤلمة لذا كان شعره خالص من العاطفة يقول في قصيدته " رسائل محترقة " من تجربته الوجدانية:

دُوتُ أَلصَّبَابَةُ وَ انطَوْتُ وَ فرَغْتُ مِنْ أَلِإمِّهَا
لَكِنِّي أَلقى أَلْمَنَّا يَا مِنْ بَقَايَا جَامِهَا
عَادَتْ لِقَلْبِي أَلذُّكْرِيَاتُ بِحَشْدِهَا وَ زِحَامِهَا
فِي لَيْلَةٍ نَكَرَاءَ أَرَقَّتِي طَوِيلُ ظَلَامِهَا
نَامَتْ رَسَائِلُ حُبِّهَا كَالطُّفْلِ فِي أَحْلَامِهَا
زَرَقَاءُ صَيَّرَهَا البِلَابُ كَسَحَابَةٍ بِغَمَامِهَا
فَحَلَقْتُ لَا رَقَدْتُ وَ لَأَذَاقْتُ شَهَى مَنَامِهَا
أَشْعَلْتُ فِيهَا النَّارَ تَرَعِي فِي عَزِيرِ حُطَامِهَا
تَغْتَالُ قِصَّةُ حُبِّهَا بِبَنَامِنِ بُدْيِهَا لِخِتَامِهَا أَحْرَقْتُهَا
وَ رَمَيْتُ قَلْبِي فِي صَمِيمِ ضِرَامِهَا
وَ بَكَى الرَّمَادُ أَلدَّمَ يُعَلَى رَمَادِ غَرَامِهَا²

¹ينظر في الأدب العربي و مدارسه / د. عبد المنعم خفاجي / ص 108.

²ديوان ناجي / ص 327.

و في قصيدة " العودة " يقول بكل إحساس و عاطفة:

دَارُ أَحْلَامِي وَ حُبِّي لِقَيْتِنَا فِي جُمُودٍ مِثْلَمَا تَلَقَى الْجَدِيدُ

أَنْكَرْتَنَا وَ عِي كَأَنْتَ إِنْ رَأْتَنَا يَضْحَكُ النُّورَ إِلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ

رَفَرَفُ الْقَلْبِ بِجَنْبِي كَالذَّبِيحِ وَ أَنَا أَهْتَفُ يَا قَلْبُ أَنْتِذُ

فَيَجِيبُ الدَّمْعَ وَ الْمَاضِي الْجَرِيحُ لَمْ عُدْنَا ؟ لَيْتَ أَنَا لَمْ نَعُدْ

لَمْ عُدْنَا ؟ أَوْ نُطُو الْعَرَامُ وَ فَرَعْنَا مِنْ حَنِينٍ وَ أَلَمٍ

وَ رَضِينَا بِسُكُونٍ وَ سَلَامٍ وَ انْتَهَيْنَا لِفِرَاحٍ كَالْعَدَمِ

مَوَاطِنُ الْحَسَنِ تَوَى فِيهِ أَلْسَامُ وَ سِرَّتْ أَنْفَاسُهُ فِي جَوِّهِ

وَ أَنَاخَ اللَّيْلِ فِيهِ وَ جَثَمَ وَ جَرَّتْ أَشْبَاحُهُ فِي بِهِوِّهِ

وَ الْبَلَى أَبْصَرْتُهُ رَأْيِي الْعِيَانِ وَ يَدَاهُ تَنْسِجَانِ الْعَنْكَبُوتِ

صَحَّتْ يَا وَيْحَكَ تَبْدُو فِي مَكَانِ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ حَيٌّ لَا يَمُوتُ

كُلُّ شَيْءٍ مِنْ سُرُورٍ وَ حُزْنٍ وَ اللَّيَالِي مِنْ بَهِيحٍ وَ شَجِيٍّ

وَ أَنَا أَسْمَعُ أَفْدَامَ الزَّمَنِ وَ خُطَى الْوَحْدَةِ فَوْقَ الدَّرَجِ¹

¹ديوان وراء الغمام / إبراهيم ناجي / ص 17.

و هكذا يرى الكاتب في شعر ناجي ذلك الاتجاه الذاتي الوجداني و هو يصور مسائل الحياة و كان شعره تعبير عن ذاته، يقول الدكتور شوقي ضيف: "و ربما كان ناجي الشاعر الوحيد الذي التزم موقفا معينا من بين شعراء هذه الدورة، و قد تكون معرفته الوثيقة بأداب الرومانسيين هي التي هيأت له ذلك، فقد كان يعجب إعجابا شديدا بهذا الاتجاه و ظل ينميه، و من أجل ذلك تتضح شخصيته في شعره تمام الوضوح بجميع ملامحها العاطفية و قسماتها الوجدانية، و هي شخصية شاعر مجروح يئن دائما، و يشكو إفلات سعادته منه بصورة محزونة"¹.

وفي قصيدة "عاصفة" التي تعتبر عالم من الخواطر يقول:

لَا أُخْ و لَا قَلْبَ حَبِيبٍ	إِذْ تَدْوِي الرِّيحُ حَوْلَ المُرْكَبِ
مَا يُهْمُ الرِّيحِ فِي اليَوْمِ العَصِيبِ	تَغْضَبُ المُرْكَبَ أَوْ لَمْ تَغْضَبْ
تَطْعَنُ الأَقْدَارُ مِنْهَا جُنُوبَهَا	وَ أَرَى شَيْطَانَهَا قَدْ قَهَقَهَا
كَمْ أَرَى سُخْرِيَةَ الدُّنْيَا بِهَا	وَ أَرَى العُمَرَ تَلَاشَى وَ انْتَهَى
غَرَبُ الحَظِّ كَمَا مَالُ الشَّرِيعِ	هَكَذَا الأَعْمَارُ فِي الدُّنْيَا تَمِيلُ
وَ سِرَّتَ فِي الجَوِّ أَشْبَاحُ الوَدَاعِ	وَ تُنَادِي كُلُّ شَيْءٍ لِلرَّحِيلِ
أَهْ مِنْ يَدْرِي وَرَاءَ الظُّلْمِ	عَلَّ فِي الظَّلْمَةِ نُورًا مِنْ بَعِيدِ
عَلَّةٌ بَعْدَ اشْتِدَادِ الأَلَمِ	فَرَجٌ يُلَمِّحُ فِي يَوْمِ سَعِيدِ

¹الأدب العربي المعاصر في مصر / د.شوقي ضيف / ص 74.

المبحث الثالث: التيجاني يوسف بشير

هو شاعر سوداني من إحدى القبائل العريقة ولد سنة 1912م، تلقى تعليمه بأمر درمان، تذوق فنون البيان و حقائق العلم حيث كانت نشأته في بيئة محافظة، تأثر بالثقافة الإسلامية و كان مؤمن بفكرة التركيب أي بين الثقافة العربية و الغربية حيث كان متمكن من الترجمة. درس الفلسفة السياسة وكل الفنون الأدبية.

تأثر كذلك بالأوضاع السياسية و الاجتماعية لوطنه فكان متشائم منها، فحث على الإصلاح و أعلن ثورة شعره على كل أساليب الاضطهاد و القهر، داعيا لمستقبل أفضل متفائلا في ذلك لكنه لم يعيش طويلا و توفي شاب يناهز عمره الخامسة و العشرين سنة أس سنة 1937م ، إلا أنه احتل مرتبة كبيرة في تاريخ الأدب العربي.

يعد ديوان "إشراقة" أضخم عمل أدبي قام به التيجاني، و قد تناول في شعره موضوعات مختلفة أبرزها شعر الطبيعة الفراغ، فكن يصف بيئته بمزاج هادئ دون تعقيدات و لا تكلف. كان اتجاهه متحرر لذا كان مؤيد لجماعة أبوللو و عضوا منها، فأخذ ينوع في شكل القصيدة و القوافي مستعملا القوافي المزدوجة و الأشكال الرباعية، و جدد في الموضوعات

أيضا. يقول في قصيدة " في محراب النيل " ملتزما بالقافية و الوزن:

أَنْتَ يَا نَيْلُ يَا سَلِيلُ الْفَرَادِي	س نَبِيلُ مَوْنِقُ فِي مَسَابِكِ
مِلْءُ أَوْفَاضِكُ الْجَلَالِ فَمَرْحَى	بِالْجَلَالِ الْمَفِيضِ مِنْ أَنْسَابِكِ
حِضْنَتُكَ الْأَمْلاَكُ فِي جَنَّةِ الْخَلِ	د وَ رَفَتْ عَلَى وَضَاءِ عُبَابِكِ
وَ أَمَدَّتْ عَلَيْكَ أَجْنَحَةٌ خُضُّ	رَا وَ أَضْفَتْ ثِيَابَهَا فِي رِحَابِكِ
فَتَحَدَّرْتُ فِي الزَّمَانِ وَ أَفْرَعُ	ت عَلَى الشَّرْقِ جَنَّةً مِنْ رَضَابِكِ

و هنا نرى التيجاني لم يحارب الكلاسيكيين بل احترمهم و اتبعهم أحيانا¹.

و في الصوفية الحزينة نجد قصيدة " الصوفي المعذب " يقول:

¹ينظر في مدارس الشعر العربي في العصر الحديث / صلاح الدين محمد عبد التواب / دار الكتاب الحديث / القاهرة / 200 / ص

هَذِهِ الذَّرَّةُ كَمْ تَحْمِلُ فِي لِعَالِمٍ سِـرًّا
 قِفْ لَدَيْهَا وَ امْتَرَجِ فِي ذَاتِهَا عُمْقًا وَ غَوْرًا
 وَ انْطَلِقْ فِي جَوْهَا الْمَمْلُوءِ إِيمَانًا وَ بَرًّا
 وَ تَنْقَلُ بَيْنَ كُبْرَى فِي الذَّرَارِي وَ صُغْرَى
 تَرَكَلُ الْكَوْنُ لَا يَفْتُرُ تَسْبِيحًا وَ ذِكْرًا

و هي كلها تساؤلات عن الكون وكلما يجد نفسه تائها الظنون يرد قائلاً:

اللَّهُ أَيَّتَهَا الْوَدِيِّعَةُ أَنْ تَشْطَبِكَ الظُّنُونُ
 الْفَجْرُ مُلْتَهَبُ الْجَوِّ نَبِّ وَ الدُّجَى شَرِسُ حُرُونُ
 يَتَزَا حَمَانِ إِلَيْكَ فِي وَلَعٍ ، وَ تَسْتَبِقُ الْقُرُونُ

و في الطبيعة نجده يصفها قائلاً:

وَ ظِلَّ قَرْنِكَ يَا شَمْسَ أَنْذَاكَ يــــــذُرُ
 فَكُلُّ غُصْنٍ مَصَابِيحَ مِنْ نَدَى يَسْتَدِيرُ
 وَ ذَابَ فِي الرَّمْلِ أَوْ مَاجَ فِي التَّرَائِبِ تَبْرُ
 رُمْلَاءُ يَبْرِقُ دَرٌّ مِنْهَا وَ يُبْهِرُ ذَرٌّ
 هَذَا شَرَاغِ مَكْرٌ ، وَ ذَا شَرَاغِ مَفَرٌّ
 يَطْوِي وَ يَنْشُرُ وَ الرِّيحَ مِنْ هُنَاكَ تَمُرُ
 وَ زَوْرَقُ يَتَهَادَى وَ زَوْرَقُ يَسْتَحِرُّ
 يُرْسِي وَ يُقْلَعُ وَ الشَّاطِئُ هَادِيٌّ مُسْتَقَرٌّ¹

¹الشاعران المتشابهان / الشابي و التيجاني / ص 45.

و من الشعر الوطني للتيجاني يقول:

وطني في الصبا الدمي و التماثيد
ل و نفسي و من أحب و خدني
هذه يا أبي تصاوير ما تُببُ
رُح دُنْيَايَ أَوْ تَزَايِلُ كُونِي
يَصْنَعُ الْعَابُ مُزْهَرِي و يُشِيدُ أَلْرَ
مَلَّ عَرْشِي و يَبْعَثُ اللّهُوَ أَمْنِي
تِلْكَ عُرْسِي و إِنَّهَا صُنْعُ نَفْسِي
بِيَدِي صَنَعَتْهَا و ذِيَاكَ أُنْبِي
هِيَ دُنْيَا الصَّبِي لَّا جَنَّةُ الشَّيْ
خ تَفِيضُ النِّعِيمِ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ

فمشاعر التيجاني الوطنية صادقة جدا، مليئة بالكفاح لأنه عان متاعب الاستبداد فأخذ يصور
آلام الشعوب داعيا للكفاح و استرجاع الحقوق.

أما عن صور الحب و الجمال في ديوانه " إشراقة " فهي كثيرة يبحث فيه عن المثل
الأعلى، فكانت رائعة من ناحية المعنى و دقة التصوير يقول:

أَيْهَذَا الْحَبِيبُ مَا بِي إِيَّا
أَنَا أَشْقَى بِالْحُبِّ مِنْ حَيْثُ مَا
أَنْ دُنْيَاكَ مِنْ نَعِيمِي بَلْقَع
يَنْعَمُ قَلْبِي : و كَمْ أَلَذُّ و أَمْتَعُ
و الْهَوَى نِعْمَةُ الزَّمَانِ و نَعْمِي
الْخَلْدَ أَسْمَى مِنْ الْحَيَاةِ و أَرْفَعُ¹

فهذا كسائر الأشعار التي أودعها التيجاني في ديوانه " إشراقة " أبرز الصور المعبرة عن
وجدانه بموسيقى عذبة عبارات قوية و كلمات سهلة، لتتحرك عواطف القارئ و يوصل
التيجاني إحساسه له.

¹المرجع السابق / ص 57-66.

الفصل السادس :

الشعر الحر

المبحث الأول : مفهوم الشعر الحر و أهم رواده

الشعر الحر ترجمة حرفية لمصطلح غربي FREE VERSE بالإنجليزية VERS LIBRE بالفرنسية، و قد أطلقوه في الغرب على شعر خال من الوزن و القافية كليهما.¹

في الاصطلاح هو الشعر الذي لا يتقيد بقافية واحدة و ببحر عام و يقيم القصيدة على تفعيلية واحدة بدلا من الشطر محطما استقلال البيت²، و قيل إن الشعر الحر هو الشعر الذي يلتزم بتفعيلية و يكررها الشاعر في السطر، فهو شعر سطر و ليس بشعر بيت فقد يتكون السطر الشعري من تفعيلية واحدة أو اثنين أو ثلاث أو أكثر³، و قالت نازك الملائكة عن الشعر الحر و هو شعر ذو شطر واحد ليس له طول ثابت و إنما يصح أن يتغير عدد التفعيلات من شطر إلى شطر، و مكون هذا التغيير وفق قانون عروضي يتحكم فيه⁴.

يعتبر الشعر الحر لونا من ألوان الشعر الذي برز عندنا على يد جماعة من الشعراء الشباب بعد الحرب العالمية الثانية، أي بداية الخمسينات مع الشاعرة نازك الملائكة و الشاعر بدر شاكر السياب و سميح القاسم و نزار قباني، و محمود درويش و غيرهم الشعراء⁵.

و قد سمي بالشعر الحر كونه اعتمد على وحدة التفعيلة لا على وحدة البيت و يسمى أيضا بالشعر الحديث كونه يتناول قضايا إنسانية معاصرة ذات بعد سياسي و إيديولوجي ، كما يعتمد على الموقف و الصورة و الكلمة الموحية ، ثم تحول بعد ذلك إلى الاعتماد على

¹النقد الأدبي الحديث بالعراق / د.أحمد مطلوب / معهد البحوث و الدراسات العربية / ص 241.

²المرجع نفسه / 232.

³مع التجديد و التقليد في الشعر العربي / د.عبد العزيز محمد فيصل / ط1 / 1993 / ص 126.

⁴قضايا الشعر المعاصر / نازك الملائكة / دار العلم للملايين / بيروت / ط12 / 2004 / ص 77.

⁵في الأدب العربي الحديث / د.يوسف عز الدين / دار العلوم / الرياض / ط3 / 1981 / ص 213.

الإبهام و الغموض و توظيف الأسطورة بالتعبير عن القضايا المعاصرة بنظرة واقعية عالمية¹.

كما اتخذ عدة تسميات أخرى أهمها الشعر "الجديد" و "شعر التفعيلة" و كان هذا قبل الخمسينات أما بعد الخمسينات فقد أطلق عليه مسمى " الشعر الحر" و من أغرب المسميات التي اقترحها بعض النقاد ما اقترحه الدكتور إحسان عباس بأن يسمى "بالغصن" مستوحيا هذه التسمية من فن الموشحات التي كانت تختلف فيه الأغصان طولاً و قصراً على الأفعال ، و كذلك الأمر في عالم الطبيعة لأن هذا الشعر يحوي في حد ذاته تفاوتاً طبيعياً في الطول كما هي الحال في أغصان الشجرة .

أما طبيعة الشعر الحر و جوهره فهو التعبير عن معاناة الشاعر الحقيقية للواقع الذي تعيشه الإنسانية المعذبة². و من رواد الشعر الحر نذكر: نازك الملائكة، بدر شاكر السياب، عبد الباسط الصوفي، صلاح عبد الصبور، أحمد عبد المعطي حجازي، محمد الفيتوري، أمل دنقل، محمود حسن إسماعيل .

المبحث الثاني : خصائص الشعر الحر

شاعت عدة خصائص في قصيدة الشعر الحر أصبحت سمة لعامة نتاج الشعراء في هذا اللون من الشعر في العصر الحديث، و يمكن إجمالها على النحو التالي :

1-تجاوزت القصيدة الجديدة نطاق مناسبة و الحدث: للتعاون مع أثر الحدث و تقدم رؤية شعرية أعمق ، فالشاعر لا يتحرك للإبداع لدواعي خارجية إلا إذا استجابت لها نفسه و تحركت للإبداع بدوافع ذاتية .

¹المرجع السابق / ص 245.

²مع التجديد و التقليد في الشعر العربي / د. عبد العزيز بن محمد فيصل / ط1 / 1993 / ص 119.

2- إعلان مشاعر السخط و السخرية و الرفض لما يعج به المجتمع من ذل و هوان و استكانة أو تقاليد بالية و قد راح الشعراء يعلنون عن سخطهم و عزلتهم عن هذا المجتمع المستكين ، و خاصة بعد تمثلهم لنكبات الأمة العربية بعد حرب 1947 م و فقدان الأمة العربية و ما تلا ذلك من هزائم و صراعات تركت الإنسان العربي منكسر يتجرع مرارة الهزيمة و الخذلان ، لكن شعراء الشعر الحر لم يقفوا بالحدث عند نقطة الإنكسار و تجاوزها إلى الرفض و المقاومة معلنين عن ميلاد جيل جديد خرج من رحم المحنة يقاوم في بسالة و إباء¹.

3- الفرار من المدينة و قيودها و بهجرها و النزوح إلى الريف لجماله و هدوئه و صفاته و طبيعته و يعد هذا أثرا من آثار الشعر الرومانسي الذي أولع به شعراء العصر الحديث².

4- ارتباط القصيدة بالزمن و صراعها معه في شكلها و محتواها ، فالزمن قرين الموت يسلمنا إليه يوما بعد يوم بل ثانية تلو الأخرى لذا ارتبطت أحداث القصيدة الجديدة و شتى مفرداتها بالزمن و عكسته بوضوح.

5- تشكيل الصورة في النص وفق تشكلها و ترتيبها في نفس الشاعر لا وفق ترتيبها في الواقع الخارجي، فالشاعر يقدم رؤية و لا يكرر واقعا فالوردة الجميلة المخضلة بالندى قد يصورها الشاعر تصويرا دمويا يحكي دموية الحراك الإنساني على الأرض.

6- توظيف التراث الإنساني و الديني و القومي في النص، و التوظيف يتجاوز التشبيه أو التضمين إلى استدعاء سائر المعاني التي يوحى بها النص التراثي في إطار النص الجديد

¹ ينظر في قضايا الشعر المعاصر / نازك الملائكة / دار الملايين / بيروت / ط12 / 2004 / ص 122.

² ينظر في المرجع السابق / ص 126.

ليقدم الشاعر من خلاله أبعادا و دلالات بعيدة تتصل بها الأثر التراثي و انعكاساته في النص¹.

7- استخدام اللغة بطريقة إيحائية : فالشاعر المعاصر يتجاوز في قصيدته المعاني المعجمية ودلالات السياق إلى آفاق أرحب في التأويل من خلال إحياءات الألفاظ المحملة بعبق التراث و المشحونة بطاقات النفس و الموصولة بإحياءات الواقع و شواهد ليصهرها في بوتقة النص و يعيد تشكيلها تشكيلا خاصا يفيض بالبوح و العطاء بوحدياته الكبرى والصغرى لنجد علاقات المفردات في النص تفيض بالمعاني و تضج بالإحياءات.

8- شيوع التوتر و القلق في العلاقات اللغوية: فالقصيدة المعاصرة عالم من المفردات و التراكيب المشحونة بالتوتر و القلق ففيها تترامح لمفردات متناقضة تنتمي لبنيات و علوم شتى تتصارع فيما بينها على البوح و العطاء. تضج بالإحياءات .

9- توظيف قيم فنية جديدة كالتناص و القناع و المفارقة : وغيرها من القيم الفنية التي تعتمد على الإحياء و البوح ، فيعتمد التناص على انعكاس نص سابق في نص لاحق بحيث يدخل النصان في حوار و جدل يثري النص بالمعاني و الدلالات الإيحائية .

10- البناء الدرامي : فالقصيدة الجديدة تتشكل في صورة صراع درامي بين شتى أجزاءها تتفاعل فيها العلاقات اللغوية و الحدث الصراع الداخلي ، بحيث تجاوزت ذاتيتها و غنائيتها المفرطة لتتشكل تشكلا دراميا ناميا يصعد بالفعل الشعر ذروة الانفعال

و التأثير. و ظاهرة الغموض و الإبهام التي شاعت في القصيدة الحديثة شيوعا ملحوظا وصل ببعضها إلى التعقيد و الظلمة التي تجعل من النص طلاس معقدة لا طائل تحتها².

¹ينظر في المرجع نفسه / ص 129.

²ينظر المرجع السابق / ص 133.

المبحث الثالث : أهم نماذج الشعر الحر

نازك الملائكة شاعرة عراقية تمثل إحدى أبرز الشاعرات في الشعر العربي الحديث، و قد جمعت بين الثقافتين العربية و الغربية. ولدت الملائكة في بغداد عام 1923م هي ربببة الأدب و ابنته فوالدها الشاعرة سلمى عبد الرزاق و أبيها الباحث صادق الملائكة، و تخرجت في دار المعلمين عام 1944م، و في 1949م تخرجت في معهد الفنون الجميلة، و تابعت دراستها في جامعة وسكونسن لإعداد الماجستير في الأدب المقارن ، امتازت نازك بروح التحدي و التمرد على القوانين الأدبية التي تمثلت بتحطيمها لعمود الشعر و كتابتها للقوائد على النط الحر. فعلى الرغم من الاختلاف بينها و بين بدر شاكر السياب بخصوص السبق بتحطيم عمود الشعر إلا أن قصيدة نازك الملائكة المعروفة باسم "كوليرا" تعتبر أول قصيدة تكتب على الوزن الحر في الأدب العربي. و بذلك تكون قصيدة الكوليرا متميزة من حيث التركيب و اللغة و المعنى الذي تحويه. وافتها المنية بالقاهرة سنة 2007م¹.

*قصيدة الكوليرا لنازك الملائكة:

في عام 1947م كتبت الشاعرة العراقية نازك الملائكة قصيدتها الشهيرة كوليرا التي نظمتها علو وزن البحر المتدارك، و صورت فيها مشاعرها و أحاسيسها نحو مصر حين داهمها وباء الكوليرا، و حاولت التعبير عن وقع أرجل الخيل التي تجر عربات الموتى من ضحايا المرض في الريف المصري.

سَكَنَ اللَّيْلُ

أَصْنَعُ إِلَى وَقَعِ صَدَى الْأُنَاتِ

¹ينظر في قضايا الشعر المعاصر / نازك الملائكة / دار العلم للملايين / بيروت / ص 62-64.

فِي عُمُقِ الظُّلْمَةِ، تَحْتَ الصَّمْتِ، عَلَى الأَمْوَاتِ

صَرَخَاتِ تَعْلُو، تَضْطَرِبُ

حُزْنَ يَتَدَفَّقُ، يَلْتَهَبُ

يَتَعَثَّرُ فِيهِ صَدَى الآهَاتِ

فِي كُلِّ فُؤَادٍ غَلِيَانِ

فِي الكُوخِ السَّاكِنِ أَحْزَانِ

فِي كُلِّ مَكَانٍ رُوحٌ تَصْرُخُ فِي الظُّلْمَاتِ

فِي كُلِّ مَكَانٍ يَبْكِي صَوْتِ

هَذَا مَا قَدْ مَزَقَهُ المَوْتِ

المَوْتِ المَوْتِ المَوْتِ

يَا حُزْنَ النَّيْلِ الصَّارِحِ مِمَّا فَعَلَ المَوْتِ

طَلَعَ الفَجْرِ

أَصْنَعُ إِلَى وَقَعِ خُطَى المَاشِيْنَ

فِي صَمْتِ الفَجْرِ، أَصِيحُ، أَنْظُرُ رَكِبَ البَاكِينِ

عَشْرَةَ أَمْوَاتِ، عِشْرُونَ

لَا تَحْصُ أَصِيحُ لِلْبَاكِينَا

اسْمَعِ صَوْتَ الطِّفْلِ الْمِسْكِينِ

مَوْتِي، مَوْتِي، ضَاعَ الْعَدْدُ

مَوْتِي، مَوْتِي، لَمْ يَبْقَ عَدٌ

فِي كُلِّ مَكَانٍ جَسَدٌ يَنْدُبُهُ مَحْزُونٌ

لَا لَحْظَةَ إِخْلَادٍ لَا صَمْتَ

هَذَا مَا فَعَلْتَ كَفُّ الْمَوْتِ

الْمَوْتِ الْمَوْتِ الْمَوْتِ

تَشْكُو الْبَشَرِيَّةُ تَشْكُو مَا يَرْتَكِبُ الْمَوْتِ

الْكُولِيرَا

فِي كَهْفِ الرُّعْبِ مَعَ الْأَشْلَاءِ

فِي صَمْتِ الْأَبْدِ الْقَاسِي حَيْثُ الْمَوْتِ دَوَاءٌ

اسْتَنْقِظْ دَاءُ الْكُولِيرَا

حَقْدًا يَتَدَفَّقُ مَوْتُورًا

هَبَطَ الْوَادِي الْمَرْحُ الْوَضَاءِ

يَصْرُخُ مُضْطَرِّبًا مَجْنُونًا

لَا يَسْمَعُ صَوْتَ الْبَاكِينَا

فِي كُلِّ كُوخِ الْفِلَاحَةِ فِي الْبَيْتِ

لَا شَيْءَ سِوَى صَرَخَاتِ الْمَوْتِ

الْمَوْتِ الْمَوْتِ الْمَوْتِ

فِي شَخْصِ الْكَوْلِيرَا الْقَاسِي يَنْتَقِمُ الْمَوْتُ

الصَّمْتُ مَرِيرٌ

لَا شَيْءَ سِوَى رَجْعِ التَّكْبِيرِ

حَتَّى حَفَّارِ الْقَبْرِ تَوَى لَمْ يَبْقَ نَصْوِيرِ

الْجَامِعَ مَاتَ مُؤَذِّنَهُ

الْمَيْتِ مَنْ سَيُؤَبِّنُهُ

لَمْ يَبْقَ سِوَى نُوحٍ وَ زَفِيرِ

الطِّفْلُ بِلَا أُمٍّ وَ أَبِي

يَبْكِي مِنْ قَلْبٍ مُلْتَهَبِ

وَ غَدَا لَا شَكَّ سَيُلْقِفُهُ الدَّاءَ الشَّرِيرِ

يَا شَبَّاحَ الْهَيْضَةِ مَا أَبْقَيْتِ

لَا شَيْءَ سِوَى سُؤْلَا أَحْزَانِ الْمَوْتِ

الْمَوْتِ الْمَوْتِ الْمَوْتِ

يَا مِصْرَ شُعُورِي مَزَقَهُ مَا فَعَلَ الْمَوْتُ¹

*شرح القصيدة:

رسمت الشاعرة نازك الملائكة للقارئ صورة مادية ليضعها في مخيلته من خلال كتابتها للقصيدة. ففي القصيدة تخاطب شخصا ما ربما يكون القارئ نفسه، فهي تكرر في أكثر من مكان كلمات كأصغ و اسمع و لا تحص، كما أن نازك رسمت صورة قاتمة سوداوية للمدينة التي غزاها المرض، فالليل هادئ و الصمت سائد و لا شيء يسمع سوى صوت المرضى و أنينهم و أصوات التكبير على جثث الموتى، لكن نازك تعود لترسم صورة الماضي لهذه المدينة فهي واد مرح وضاء تسلل له الموت على هيئة المرض ليفتك بالجميع بلا استثناء و لا فرق عنده بين طفل و شيخ و امرأة.

و من ناحية المعنى فقصيدة الكوليرا كأى عمل أدبي آخر تحمل التفسير على عدة وجوه و محامل. فإن أردنا تحليلها تحليلا سطحيا فسنحصل على معنى، و إذا تعمقنا و أمعنا النظر بالنص جيدا فسنحصل على تفسير آخر مغاير لتفسيرنا الأول. فالكوليرا التي تحدثت عنها نازك في قصيدتها هي ذلك الوباء الذي يفتك بالبشرية . إن أردنا أخذه بمعناه السطحي فنازك الملائكة تتكلم عن الوباء الذي انتشر في مصر عام 1947م ، الباء الذي قتل البشر و أهلك الحرث و النسل و أحدث الخراب و سبب الآلام للعديد من الأشخاص.

إذا أخذنا النص من ناحية تاريخية فإننا سنجد أن نفس العام الذي وقعت فيه الكوليرا في مصر فقد وقعت ثورة في العراق. موت يقتل في مصر و ثورة في العراق تناضل لبدء حياة جديدة، كلاهما موت بالنسبة لنازك فموت للخلاص من مرض جسدي و موت نظام

¹ديوان نازك الملائكة / ص 138.

سياسي مريض، ليأتي نظام آخر يختلف عنه. فربما أرادت نازك التأكيد على أن النظام السياسي القديم قد أصابه مرض الكوليرا أيضا و على الرغم من ذلك فلا يمكننا الجزم بما إذا كانت نازك تعني بالكوليرا النظام القديم أم الجديد، لكن في كلا الحالتان فكلاهما يحصدان موت و خلاص.

كررت نازك و أكدت في أكثر من مكان على الألم و وجوده و انتشاره بين الجميع، فسواء كان هذا الألم و الأنين هو أنين مرضى مصر أو أنين الشعب الذي يعاني من الأنظمة السياسية في العراق فلا فرق بينهما.

فالوادي المرح الوضاء قد يكون وادي النيل، و قد يكون وادي الرافدين لا فرق فكلاهما يبحثان عن الخلاص و الراحة من الألم، فللكلى الطرفين يكون الموت دواء كما قالت نازك الملائكة، فكما الجميع يعرف أن الكوليرا في السابق كان علاجها صعب فالموت لصاحبها هو الدواء و موت نظام سياسي فاسد هو الدواء و العلاج لمعاناة البشرية.

ومن ناحية أخرى، يظهر النص براعة كاتبته و إجادتها للغة و فنونها و اللعب بالمفردات بطريقة تجعلها قادرة على رسم الصور و التعابير، و يستطيع القارئ لهذه القصيدة أن يلاحظ وحدة الصفات من بداية القصيدة حتى نهايتها، فالحزن متحد و الألم قاسي

و السكون يعم المكان. بالإضافة إلى الكوليرا التي تتحول إلى وحش تارة و في تارة أخرى تكون هي الموت الذي يأخذ عدة أشكال أحدها هو هذا المرض، و قد يلاحظ القارئ أن نازك فصلت بين مقطع و آخر في القصيدة بثلاثية " الموت، الموت، الموت"، هذا التكرار لهذه المفردة لابد أنه يهدف إلى شيء ما عانته الشاعرة.

قصيدة الكوليرا قصيدة رمزية أجادت نازك الملائكة إبداعها لذلك فهي من أكثر القصائد التي تتعدد تفاسيرها و استمرت مناقشتها منذ أكثر من ستين عاما.

الختامة

الخاتمة:

إن المسيرة التي قطعناها في بحثنا هذا كانت بهدف الوصول إلى الإجابة عن الإشكالية التي سبق طرحها، و سنحاول وضع حوصلة جامعة لما استطعنا الوصول إليه.

-إن النهضة العربية هي تلك اليقظة الوطنية التي عرفتتها معظم الدول العربية و لاسيما مصر، و ترجع بوادر نهوضها إلى عوامل عديدة أهمها دور الأزهر من خلال إحيائه للتراث و فتح الجمعيات بالإضافة إلى الترجمة و التأليف و إنشاء المدارس و مختلف البعثات العلمية.

- البارودي هو رائد مدرسة الإحياء و إمام النهضة، أول فارس خاض تجربة قصيدة الإحياء ساعدته موهبته الشعرية و الفطرية إلى تكوينه بتراث أصيل، و قد أحس سامي البارودي برسالة الشعر و وظيفته في الحياة فاختار الحكمة المؤثرة في النفوس، و تناول فيها الأخلاق الكريمة و كتب عن قضايا الأمة و خص بشعره للثورة.

- مدرسة الشعراء المحافظين و هي مدرسة أدبية انطلقت على يد طائفة من الشعراء

و هم أحمد شوقي، حافظ إبراهيم و معروف الرصافي من مبدأ أن المحل الشعري النموذجي هو الشعر العربي القديم في عصور الازدهار و القوة و الأصالة، كانت لهم رغبة في إحياء روائع التراث العربي القديم إضافة إلى نشر العديد من الكتب و الدواوين في المشرق و المغرب و الأندلس للانتفاع، زيادة على الإحساس بفكرة الالتفات إلى المجد الماضي و تراث الأمس.

- جماعة الديوان و هي مدرسة نقدية تكونت علي يد ثلاث شعراء و هم العقاد، المازني، و شكري تأثروا بالثقافة الإنجليزية و وضعوا أسسا قيمة للنقد الأدبي، فدعوا إلى التجربة الشعرية و المجازاة للطبع و الصدق في الوجدان أي التعبير عن النفس الإنسانية في

فرديتها لأن الشعر إذا لم يكن تعبير عن الذات كان صناعة متكلفة، حيث اهتموا بالجانب العاطفي و تقييمهم للجانب الوجداني. ألفوا الديوان و هذا هو سبب تسميتهم بجماعة الديوان.

جماعة أبوللو هي حركة شعرية انبثقت من الصراع الذي دار بين أنصار المدرسة التقليدية و المجددين بريادة أحمد زكي أبو شادي و إبراهيم ناجي و يوسف التيجاني. عمقت الاتجاه الوجداني للشعر، و انفتحت على التراث الشعري الغربي بواسطة الترجمة من الشعر الأوروبي، و دعت إلى تعميق المضامين الشعرية و استخدام الأسطورة و الأساليب المتطورة للقصيدة و رغم أنها لم تعمر طويلا إلا أنها تركت بصمتها في الأدب العربي.

الشعر الحر هو مدرسة جديدة اعتمد نظامها على شعر التفعيلة، اختلفت الآراء حول الريادة الأولى و كان هذا الاختلاف بين نازك الملائكة و بدر شاكر السياب، بالإضافة إلى مجموعة من الشعراء الذين التزموا هذا اللون من الشعر أمثال صلاح عبد الصبور، محمود درويش و فدوى طوقان، و أول عمل كان لنازك الملائكة في قصيدة الكوليرا، كانت تميل هذه المدرسة في تعبيرها إلى تصوير تلك المعاناة الحقيقية التي يعيشها الإنسان خصوصا أن نازك هي شاعرة حزينة عاشت الحزن و العزلة طول حياتها.

و من هنا نستطيع القول أن كتاب مدارس الشعر العربي في العصر الحديث للدكتور صلاح الدين محمد عبد التواب هو كتاب رائع و ثمين جمع جل المدارس العربية و درسها دراسة تسلسلية مستعملا منهج تاريخي، حيث بدأ بالنهضة العربية موضحا إياها حتى الوصول إل مدرسة الشعر الحر.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم ناجي /وراء الغمام ديوان.
2. أبوالشباب واصف / القديم والجديد في الشعر العربي الحديث / دار النهضة العربية / 1988.
3. أبوشادي أحمد / قضايا الشعر المعاصر.
4. أبوشادي زكي / قضايا الشعر المعاصر.
5. أحمد شوقي / مصرع كليوباترا.
6. أطيف الربيع. ديوان
7. الشوقيات / ج 1.
8. البارودي ديوان / ج 3 / تحقيق محمد شفيق معروف .
9. البارودي ديوان / ج 2.
10. البارودي ديوان / ضبط وتحقيق علي الجارم ومحمد شفيق معروف/ ج 1/ دار المعارف / القاهرة/ 1971.
11. البارودي محمد سامي / كشف الغمة في مدح سيد الأمة / مراجعة الأديب خليل عثمان / المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر / 1355هـ.
12. البرقاوي أحمد / محاولة قراءة عصر النهضة/ الأهلية للطباعة والنشر/ ط2/ 1999.
13. البقاعي شفيق / أدب عصر النهضة / دار العلم للملايين / بيروت / ط 1 / أوت 1990.
14. الوكيل مختار / رواد الشعر الحديث في مصر.
15. بن قنبة عمر / الأدب العربي الحديث / شركة دار الأمة للطباعة و النشر / الجزائر / 1999.
16. بن محمد فيصل عبد العزيز / مع التجديد والتقليد في الشعر العربي / ط 1 / 1993.
17. البوصيري ديوان / ط الحلبي / مصر / 1374هـ.
18. جاد حسن/ الأدب المقارن / القاهرة / 1975.

19. **جورجي زيدان** / تاريخ آداب اللغة العربية / ج4.
20. **حافظ ديوان** / ج 1.
21. **حافظ ديوان** / ج 2.
22. **حيدوش أحمد** / الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث / ديوان المطبوعات الجزائرية / الجزائر.
23. **خفاجي محمد عبد المنعم** / دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه.
24. **خليف عبد اللطيف** / التيارات الجديدة في الشعر العربي الحديث في مصر.
25. **الخليل إبراهيم** / مدخل لدراسة الشعر العربي / دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة / ط1 / 2003.
26. **الرافعي عبد الرحمان** / تاريخ الحركة القومية / ج1.
27. **الرصافي ديوان** / ج 1. / المازنيوالعقاد للديوان
28. **السحرتي مصطفى** / شعراء مجددون.
29. **السحرتي مصطفى عبد اللطيف** / الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث / القاهرة.
30. **السلطان جاسم** / استراتيجيات الإدراك للحراك من الصحوة إلى اليقظة / أم القرى ط4 / 2010.
31. **المغربي الشيخ عبد القادر** / مقدمة الرصافي.ديوان
32. **الملائكة نازك** / قضايا الشعر المعاصر / دار العلم للملايين / بيروت / ط12 / 2004.
33. **النابعة الذبياني ديوان** / ج 3 / تحقيق كرم البستاني / دار بيروت للطباعة و النشر / 1960 /
34. **النجار عبد الوهاب** بعنوان صفحة مجهولة من حياة حافظ / مجلة أبوللو / المجلد الأول / 1933
35. **الشوقيات** / ج 2.
36. **الشوقيات** / ج 4.
37. **الشعلة ديوان**.
38. **العقاد ديوان** / ج 4.

39. العقاد عباس محمود / مجموعة أعلام الشعر / دار الكتاب العربي / بيروت / 1970
40. المازني ديوان / ج 2.
41. المتنبي ديوان / ج 2 / البرقوقيلعبد الرحمن / دار الكتاب العربي / بيروت / 1930.
42. المازني ديوان / ج 1.
43. الفاخوري حنا / تاريخ الأدب العربي / دار بيروت / لبنان / 2002 .
44. التجديد في شعر شوقي / محاضرة للأستاذ عمر الدسوقي أقيمت في جمعية الشبان المسلمين في 19-10-1957 بمناسبة مرور خمسة و عشرين عاما على وفاة شوقي.
45. شريط أحمد شريط / معجم أعلام النقد العربي في القرن العشرين / جامعة برج باجي مختار / عنابة.
46. شكري عبد الرحمن / في الميزان من مقال للعقاد في الهلال / فبراير / 1959.
47. شوقي ضيف / فصول في الشعر و نقده.
48. صالح جودت / ناجي : حياته وشعره.
49. صبري محمد / أدب و اجتماع / مطبعة مصر / 1950.
50. صلاح الدين محمد عبد التواب / مدارس الشعر العربي في العصر الحديث / دار الكتاب الحديث / القاهرة / 2005.
51. ضيف شوقي / الأدب العربي المعاصر في مصر.
52. عباس محمود العقاد / شعراء مصر و بيناتهم في الجيل الماضي / مكتبة النهضة المصرية / 1970.
53. عبد العزيز محمد فيصل / مع التجديد والتقليد في الشعر العربي / ط1 / 1993.
54. عز الدين يوسف / في الأدب العربي الحديث / دار العلوم / الرياض / ط3 / 1981.
55. علي محمد كرد ، بحث أثر المستعربين من علماء الشرقيات في الحضارة العربية / محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق ج3.
56. عنتره ديوان / دار بيروت للطباعة و النشر / 1965 .

57. عويصة كامل محمد / البارودي محمود سامي / دار الكنب العلمية / بيروت / لبنان / ط1 / 1994.
58. غنيمي هلال / المدخل إلى النقد الأدبي الحديث.
59. محمد إبراهيم سليم / البارودي محمود سامي / رائد الشعر العربي الحديث / دار النشر للطلّاع.
60. محمد أحمد جاد المولي و محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي / قصص العرب / ج 4 / طبع الحلبي / مصر / 1939.
61. مطلوب أحمد / النقد الأدبي الحديث بالعراق / معهد البحوث والدراسات العربية.
62. مجلة أبولو / العدد 1 / سبتمبر 1932.
63. مجلة ثقافة الأطباء / العدد رقم 9 / يوليو / 1951.
64. هيكل أحمد / تطور الأدب الحديث في مصر.
65. وحي الأربعين ديوان.

المخلص

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى عرضة تحليل كتاب "مدارس الشعر العربي في العصر الحديث" للدكتور صلاح الدين محمد عبد التواب ، بالإضافة إلى كشف القيمة الأدبية إلى يمتاز بها هذا الكتاب، و لأجل الوصول إلى النتائج المراد بها قسمنا بحثنا إلى ستة فصول حيث كل فصل ناقشنا فيه مدرسة من مدارس الشعر العربي الحديث، حيث جاءت هذه الخطة مطابقة لفهرس موضوعات كتاب "مدارس الشعر العربي في العصر الحديث"، و بطبيعة الحال توصلنا لمجموعة نتائج من بينها تعرض الساحة الأدبية لفترة ركود و انحطاط و هذا ما كان الدافع الأول لظهور هذه المدارس، حيث بعثت هذه المدارس الروح من جديد في الساحة الأدبية على مستوى الشعر أو النثر و كانت بمثابة ميلاد عصر جديد و قفزة نوعية انطلاقا من مدرسة كلاسيكية التي كانت بمثابة خطوة أولى إلى غاية مدرسة الشعر الحر، و بهذا يكون كتاب "مدارس الشعر العربي في العصر الحديث" إضافة للدراسات السابقة التي تطرقت للحديث عن مدارس الشعر العربي الحديث.

الكلمات المفتاحية:

المدارس الشعرية، الحديث، التجديد الشعري، التجربة الشعرية، الصدق الفني.

Résumé :

Cette recherche vise à présenter et analyser le livre « Ecoles de poésie arabe à l'époque moderne » du Dr Salah al-Din Muhammad Abd al- Taouab, en plus de révéler la valeur littéraire qui caractérise ce livre, et afin d'atteindre les résultats souhaités, nous avons divisé notre recherche en six chapitres, ou chaque chapitre a été discuté Une école de poésie arabe moderne, ou ce plan identique à l'index des matières du livre « les écoles de poésie arabe à l'époque moderne ». Un ensemble de résultats, dont l'exposition de la scène littéraire arabe à une période de stagnation et de déclin, et ce fut le premier élan pour l'émergence de ces écoles, car ces écoles ont ravivé l'esprit dans l'arène littéraire, que ce soit au niveau de poésie ou prose, et c'était la naissance d'une école classique, ce qui était un premier pas vers le but de l'école de la poésie libre, et donc le livre « Ecoles de poésie arabe dans la modernité Erra » En plus des études précédentes qui portaient sur les écoles de poésie arabe moderne.

Mots-clés :

Écoles poétiques, Hadith, renouveau poétique, expérience poétique,

Summary:

This research aims to present and analyze the book « Schools of Arabic poetry in the Modern Era » by Dr. Salah al-Din Muhammad Abd al- Tawab, in addition to revealing the literary value that characterizes this book, and in order to reach the desired results, we divided our research into six chapter. Where each chapter we discussed A school if modern Arabic poetry, where this plan identical to the subject index of the book « Schools of Arabic poetry in the modern Era ». Naturally, we reached a set of results, including the exposure of the Arab literary scene to a period of stagnation and decline, and this was the first impetus for the emergence of these schools, as these literary, whether at level of poetry or prose, and it was the birth of a new era and a qualitative leap starting from a classical school, which was a first step towards the goal of the school of free poetry, and thus the book « Schools Arabic poetry in the modern era » In addition

to the previous studies that dealt with the school of modern Arabic poetry .

Keywords: Schools of poetry –the modern era –capillary renewal –poetic experience

الف هـ رس

الفهرس	
03	إهداء
05	شكر و تقدير
أ	مقدمة
06	البطاقة الفنية للكتاب.
10	الفصل الأول: النهضة العربية و بوادر قيامها
11	المبحث الأول: النهضة العربية و بوادر قيامها.
12	المبحث الثاني: عوامل قيام النهضة الأدبية في العصر الحديث.
15	المبحث الثالث: صور من النماذج الأدبية في فترة ما قبل البعث.
21	الفصل الثاني: محمود سامي البارودي
22	المبحث الأول: حياة سامي البارودي و شاعريته.
26	المبحث الثاني: شعر البارودي بين التقليد و التجديد.
39	المبحث الثالث: منزلة البارودي و آثاره في الشعر.
43	الفصل الثالث: مدرسة الشعراء المحافظين
44	المبحث الأول: أحمد شوقي.
65	المبحث الثاني: حافظ إبراهيم.
73	المبحث الثالث: معروف الرصافي.
86	الفصل الرابع: مدرسة الشعراء المجددين
87	المبحث الأول: عبد الرحمن شكري.
91	المبحث الثاني: إبراهيم عبد القادر المازني.

95	المبحث الثالث: عباس محمود العقاد.
101	الفصل الخامس: جماعة أبولو
102	المبحث الأول: أحمد زكي أبو شادي.
106	المبحث الثاني: إبراهيم ناجي.
110	المبحث الثالث: التيجاني يوسف بشير.
113	الفصل السادس: الشعر الحر
114	المبحث الأول: مفهوم الشعر الحر و أهم رواده.
116	المبحث الثاني: خصائص الشعر الحر.
118	المبحث الثالث: قصيدة الكوليرا للشاعرة نازك الملائكة.
125	خاتمة
128	قائمة المصادر و المراجع.
135	الملخص